



1442هـ - 2020م

إلياذةُ أمّزاج

في الحضارة والتّاريخ ومشاهير الأعلام والعبر

في 1000 بيتٍ وبيتٍ

كلمات: الحاج سعيد جابر بن باسعيد

إهداء

بعد حمد الله عظيمَ الحمدِ
أهدي هذا العمل إلى كلِّ مزايٍّ معترٍّ بهويته
وإلى كلِّ مؤرِّخٍ وباحثٍ في حضارةِ مزاب
وإلى أستاذي القدير الشيخ محمد بن أيوب صدقي الذي أخذت معالم
علمِ العروض الأولى على يديه
وإلى كلِّ من له فضلٌ عليَّ من قريبٍ أو بعيدٍ
إلى والديَّ اللّذين بالدرجة الأولى

مقدّمة:

الحمد لله الذي علّم البيان؛ وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمد ﷺ؛ وبعد:

بعد إخراجي الأوّل لكتّابي: تاريخ بني مزاب "للجلسات العائلية والدّروس التّعليمية" عام 2015م، بدأت تراوّدني فكرة إخراج محتوى تاريخنا في حلّة شعريّة؛ تكون عنوانًا خالدًا لشموخ مزاب في سماء الحضارة والتّاريخ، فوضعتُ البصمات الأولى لها، عام 2016م وأنا أسيّرُ على خطى حثيثة لزهاء 5 سنوات إلى أن خرجت في نهاية أوت 2020م على ما هي عليه، تامّةً مكتملةً.

وأحمدُ الله كثيرًا على التّوفيقِ والامتنان، فقد بدأت في الثّلاث الأوّل منها بحماسٍ منقطع النّظير، لكن طرأ لي فتورٌ وخمولٌ وعجزٌ وجفافٌ شعريّ بعد ذلك، فكُنْتُ أصارعُ من أجل الإتمام والبقاء حقًا، إلى أن أسأمَ وأدعها جانبًا وأنساها، مرّاتٍ ومرّاتٍ، إلى أن تيقنْتُ بأنّي لن أتمّها، وهممتُ بإخراجها في زهاء 700 بيتٍ، والحمدُ لله تنفّجُ الأزمة انفراجًا كبيرًا في 300 بيتٍ الأخيرة، وأراه فتحًا ربّانيًا سررتُ به كثيرًا.

واخترتُ لهذا العملِ تسمية: **-إلياذة مزاب-** قبل أن أضع أوّل بيتٍ لها؛ وقبل أن أرى محاولةً سبقتني بعنوان: (إلياذة بني مزاب الجزائريّة) للشّاعر عبد العزيز ترفغين في زهاء 270 بيتًا، على حسب ما اطّلعْتُ عليه في مكتبة الشّيخ عمّي سعيد بغرداية، في نسخةٍ تجريبية

مؤرّخة 22 سبتمبر 2017م، ثمّ طُبعت طبعةً أنيقةً بعد ذلك، وأشكّ بأن هنالك محاولاتٍ قريبة أخرى في نفس الصّدّد.

وكلمة (إلياذة) معربة من أصلٍ إغريقي من كلمة (Iliad) ومعناها الملحمة وهي القصيدة الطويلة التي تحكي أحداثاً وبطولات ومباهج قوم ما، وأول من اشتهر بها (هوميروس)، وهي عند الفرس الشّهنامة، وعُرفت في لغتنا المزابية بترجمة (تاسوكايت)¹.

وضمّنت إلياذتي على نحو إلياذة الجزائر للشّاعر مفدي زكرياء ألف بيت وبيت (1001)، لعلّها تنال شيئاً من زخمها وتكون كالابنة شبيهة بأمّها، إلّا أنّ إيماني بتقدير أهل السّبق لم يصل إلى درجة تقليديهم الحرفيّ؛ فأنا على وثوقٍ من نفسي بأنّ المتأخّر بإمكانه أن يستفيد ممّن سبق فيُخرج ما قد يكون بطابع آخر.

وإلياذتي جاءت كاملةً على بحر البسيط خلافاً للسّابقتين اللّتين كانتا على بحر المتقارب في العموم، واشتمل رويّتها -آخر حرف في البيت- على حروف الهجاء ترتيبيّاً، فابتدأت بحرف الميم الذي كان في كلمة "مزاب" ليكون مستهلّها خفيفاً ثمّ تتبّع الحروف لأنتهي باللام، وتركتُ بعضها لصعوبته، ونوّه القارئ إلى ما يأتي:

● أبعدنا الألفاظ الغريبة والثّقيلة عن شعرنا قدر ما استطعنا؛ وجعلنا سلاسة اللفظ وسهولته قبل كلّ شيءٍ.

¹ - استفدتُ هذا من حوارٍ معَ باحثينَ ومهتمينَ على شبكةِ التواصل يوم 2020/08/17م.

- اعتمدنا الرُّخص المتاحة في نظم بحر البسيط؛ فمثلاً ما هو ثلاثيّ ساكنُ الوسطِ حُرِّكَ جوازاً إذا جاء قبل الرويّ مثل: (دَمَغ، تَحَت) للضرورة قلنا: دَمَغ، تَحَت.
 - أخرجنا الأبيات لوناً بلون الأخضر فالأسود لتسهيل القراءة.
 - شكّلنا جميع الأبيات وأوردناها في نسق منتظم لتكون أجمل وأقرب.
 - فسّرنا في الحواشي كلّ ما نظنُّ أنّه يحجبُ عن القارئ المعنى العام للبيت، تفسير اللفظ أحياناً وتفسير المعنى العام أحياناً.
 - ربّنا الإلياذة - كما هو مبينٌ في الفهرس - على أربعة فصول بمعدّل 250 بيتاً للفصل؛ وتحت كلّ منها جملة من العناوين بمعدّل 25 بيتاً حسب الموضوع؛ وكلّ هذا ليسهل أخذها.
 - حاولنا أن يكون كلّ قسم من القصيدة باستهلال خاصّ وختام واضح ليتمكن اقتطاعه؛ كما أنّ الأبيات ذاتها محاورٌ مختلفة ويكادُ كلّ بيتٍ يستقلُّ بنفسه.
 - رَقَمْنَا الأبيات على حدّ الإشارة ليسهل الاستشهادُ بها فيقال البيت رقم كذا.
 - اهتمّ أسلوب النّظم بثلاثة جوانب موضوعيّة:
- *تسجيل الأحداث:** بذكر الوقائع التاريخيّة بصفةٍ عامّة.
- *وصف المعالم الحضارية:** واشتمل وصف الآداب والمبادئ والأصول في المجتمع.
- *الوقوف على العبر:** فلا يفوتنا كلّ مرّة أن نستخلص عبراً ودروساً من حصارتنا.
- فلم نشأ أن نُهمَل جانباً من تلك الجوانب لأهميّة كلّ منها، إضافةً إلى إخضاع كلّ ذلك لقلب

الشعر فإن رفض انتهينا عند طلبه وأطعناه.

ولقد اخترتُ اللازمة التي يُمكنُ إعادتها بعد قراءة كلِّ عنوان فرعيٍّ من الإلياذة:

أَمْزَابُ يَا آيَةَ الرَّحْمَنِ فِي الْقُدُسِ

إِنَّا عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ لَمْ نَدُسِ

أَمْزَابُ فَخْرُ الْجَزَائِرِ؛ فَخْرُ كُلِّ أَبِي

ولقد كان عدُّ الأبياتِ 1001 بلا حسابِ هذا البيت ونصف البيت؛ ولم أوردَهما بعد كلِّ عنوان تخفيفًا ولأني لا أرى لزوم هذا التسق، فأملِي في إلياذتي أكبرُ من أن تكون مجرد مباحج ومفاخر تُعادُ في المناسبات.

وأخيرًا: أسألُ الله أن ينفعنا بهذا العمل ويثيبنا عليه، ويجعله ميسرًا للقراء لينتفعوا به.

القطع الأول: الأصالة والتاريخ

مقدمة في الأصل والمنشأ [19]

- أَمَزَابُ يَا آيَةَ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ 1 يَا أُمَّةً لَا تُرَى إِلَّا عَلَى الْقِمَمِ
سَوَاكِ رَبُّ الْوَرَى مِنْ طِينَةٍ فُطِرَتْ
بِالْدِّينِ وَالْأَصْلِ كُنْتَ مَضْرِبَ الْمَثَلِ
مَازِيغُ يَبْدُو عَلَى وَجْدَانِكَ الْخَضِبِ
غَنَى بِشَعْرِ الْحَيَاةِ فَاسْتَجَابَ لَهُ 5
أَحْفَاذُهُ مِنْ أَمَازِيغٍ وَبِرَبْرَةٍ
لَا بَأْسَ مِنْ ذِكْرِ أَنْسَابٍ وَمَفْخَرَةٍ
لَيْسَ لِمَازِيغٍ مِنْ فَضْلِ عَلَى الْبَشَرِ
لَكِنْ إِذَا قِيلَ "مَازِيغُ" انْبَرَى قَدَرًا
مِنْ صُلْبِهِ "امْضَابُ" بِالْأَنْسَابِ قَدْ لَحَقَا 10
وَاهَا؟! لِأَبْنَائِهِ مَنْ عَقَّه سَفَهَا
- يَا أُمَّةً لَا تُرَى إِلَّا عَلَى الْقِمَمِ
تَعْتَزُّ بِالْأَمْسِ؛ لَا تَنَأَى عَنِ الْقَدَمِ
حَيَّتِكَ فَخْرًا حَضَارَاتٍ مِنَ الْقَدَمِ
كَالشَّمْسِ فِي صُبْحِ يَوْمٍ مُزْهِرٍ بِسَمِ 1
أَحْرَارُ أَفْرِيقِيَا مِنْ قِمَّةِ الْهَرَمِ 2
أَنْسَابُ قُرْبٍ وَأَنْسَابُ إِلَى الْكَرَمِ 3
إِنْ صَاغَهَا الْقَلْبُ فِي لَوْنٍ مِنَ الْقِيمِ
أَوْ كَانَ أَحْفَاذُهُ جَنْسًا بِلَا لَمَمِ
بِأَنَّهُ آيَةُ فِي الْقَدْرِ وَالشِّيمِ
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ أَبٍ حُرٍّ بِلَا ذِمَمِ 4
مُسْتَنْكَرًا مِنْهُ، مُعْتَزًّا بِمُنْبِهِمِ

¹ - الخضبُ في الإنسان من شابت وجهه حمرةً.

² - أي هو أوّل من اكتسب صفة الأب لسكان شمال أفريقيا.

³ - فالبربر هم المنظوون تحت الأمازيغ تكمّماً وليس أصلهم أمازيغاً.

⁴ - امضاب: أب المزابيين وهو من الأمازيغ ونسبه يصل إلى مازيغ.

حَتَّى وَإِنْ جَاءَ نَهْيُ الدِّينِ عَنْ نَتَنِ
إِنْ قِيلَ: فُرسٌ وَعُربٌ؛ لَمْ أَرِ جَدَلًا
مَا لِلْمَوَازِينِ فِي حَقِّ لَنَا قُلِبَتْ؟!
لَسْنَا كَمَا قِيلَ: أَرْدَا لَمْ مِنَ الْبَشَرِ
لَسْنَا كَمَا قِيلَ: عَبْدُ الْمَالِ وَالطَّمْعِ
إِنْ كَانَ غَيْرُ الْأَمَازِغِ اسْتَلَدَّ بِهَا
فَقَدْ أَبَى الْحُرُّ إِلَّا نَصَرَ مَبْدَأَهُ
إِلْيَاذِي حُجَّةٌ كَالصُّبْحِ مَظْهَرُهَا

15

فَهُوَ يُنَادِي لِحَقِّ الْقُرْبِ وَالرَّحِمِ¹
حَتَّى إِذَا قُلْتُ مَا زَيْدٌ.. أَمْسَكُوا بِفَمِي
وَنَحْنُ لَمْ نَرْجُ إِلَّا حَظًّا مُحْتَرَمًا
كَأَنَّ، وَلَوْ أَجْمَعُوا فِي الْكُتُبِ بِالْقَسَمِ²
يَا مَنْ بَنَى ظَنًّا سُوءًا: ثَبَّ عَلَى نَدَمِ
ظُلْمًا، لَيْسْتَ عِدَّةَ الْأَخْرَارِ كَالْخَدَمِ³
فِي ثَوْبِ مُسْتَنْكِرٍ أَوْ نَاقِمِ خَصِمِ
أَوْدَتْ بِلَيْلٍ مِنَ الْأَوْهَامِ فِي الْحِمَمِ

¹ - إشارة إلى حديث النبي ﷺ عن الطائفة "دعوها فإنها منتنة".

² - إشارة إلى الدعاية التاريخية بأن المزابيين خوارج وستأتي الإشارة لمن اتهمنا بأننا عبيد المال والتجارة، وهذا ليس فتح لصراع من البداية بل هي إثارة اهتمام لدراسة شاملة واعية لتاريخنا.

³ - فقد ثبت في التاريخ استعباد الملوك المسلمين للمسلمين من غير الجنسي العربي وربما بعد إثبات مروقهم من الدين.

تَسْمِيَةُ وَادِي امْرَآبَ وَنَشَأَتُهُ [14]

- أَمْرَابُ مِنْ مُصْعَبٍ اشْتُقَّ فَاَنْتَظَمَا 20 وَالْوَادُ مِنْ إِسْمِهِ قَدْ جَاءَ فِي نَعْمٍ¹
لَمْ يَعْرِفِ الْوَادُ إِسْمًا قَبْلَ مَقْدَمِهِ وَخَلَفَ جُلَّ السُّمَّا حَقٌّ مِنَ الزَّعَمِ²
فِي أَرْضٍ أَوْدِيَّةٍ مِنْ غَابِرِ الزَّمَنِ قَدْ قِيلَ بِأَدِيَّةٍ فِيهَا، غَدَتْ لَهُمْ³
تِلْكَ الَّتِي سُمِّيَتْ مِنْ بَعْدُ بِـ"الشَّبَكَةِ" لِصُورَةِ الْأَرْضِ وَالْوُدَيَانِ مِنْ قِمَمِ
إِنْ كَانَ أَجْدَادُنَا فَرُّوا مِنَ الْفِتَنِ مَعَ أَرْضِهِمْ قَدْ بَدَوْا فِي شَكْلِ مُخْتَصِمِ
صَلَابَةِ الْأَرْضِ وَالْأَعْدَاءِ وَالزَّمَنِ 25 إِنْ لَوَحَتْ لَنْ تَرَى عَيْشًا سِوَى بَدَمِ
لَكِنْ بِأَرْضِ الْأُلَى بِالْحَقِّ قَدْ جُمِعُوا لَمْ تَكْتَشِفْ غَيْرَ نَهْجِ الْعَدْلِ وَالنُّظْمِ⁴
آثَارُ نَحْتٍ لَهُمْ لَمْ تَنْمَحِ نَطَقَتْ مُخْبِرَةً أَنَّنَا الْأَوَّلَى بِذَا الْحَرَمِ
لَسْنَا-كَمَا قِيلَ-تَأَبَى الْعَيْشَ فِي وَطَنِ إِذْ أَصْلُ أَجْدَادِنَا مِنْ رُوحٍ مُلْتَمِمْ⁵
أُولَئِكَ الْعِزُّ، عَاشُوا أَعْصَرًا مَزَجَتْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْعَجَمِ

¹ - أصله: امضاب وعُزِبَ إلى مصعب وبالتصريفات استقرَّ اسمه مزاب، والتصق اسما لهذا الوادي.

² - سُمَّا، لُغَةٌ مِنْ سَتِّ لُغَاتٍ فِي لَفْظَةِ "اسْمٌ"، وَالْبَيْتُ رَدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ تَسْمِيَةَ الْوَادِي سَبَقَتْ مَجِيءَ الْمَزَابِيِّينَ وَهُمْ الَّذِينَ تَسَمَّوْا بِهِ، كَيْفَ يَصِحُّ هَذَا وَأَبُوهُمْ اسْتَقَرَّ اسْمُهُ مَزَابٌ؛ كَمَا أَنَّنَا بِذَلِكَ نَسْأَلُ: مَنْ سَمَّى الْوَادِي بِهَذَا وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ سَكَنَهُ؟

³ - كَانَ أَبُو بَكْرٍ الْفَرَسْطَائِيُّ وَمَنْ عَاصَرُهُ يَقُولُونَ لَأَرْضُنَا بِأَدِيَّةِ بَنِي مُصْعَبٍ.

⁴ - الْأُلَى: بِمَعْنَى: الَّذِينَ.

⁵ - كَيْفَ نُنْتَهِمُ الْيَوْمَ بِأَنَّ لَنَا وَطَنِينَ وَأَصْلُنَا مَزِيحٌ مِنْ وَافِدِينَ كَثِيرِينَ تَعَايَشْنَا مَعَهُمْ.

مِنْ دَوْلَةِ الْمَجْدِ مِنْ تَاهَرْتَ قَدْ وَفَدُوا 30 مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ مُسَّ بِالْوَرَمِ
كَالْأَمِّ فِي صَدْرِهَا حَنْتَ عَلَى الْيُتَمِّ أَكْرَمَ بِهَا أُلْفَةً فِي الدِّينِ وَالْكَلِمِ
فَالْأَوَّلُونَ الْأَمَارِيعُ وَمَنْ لَحِقًا هُمْ بَرَبَرٌ، فِي عَشَائِرٍ انْتَمَوْا لِدَمِ
لَمْ يَصْنَعُوا وَحْدَةً إِلَّا لِيَنْطَلِقُوا هَا قَدْ بَنَوْا شَيْدُوا مَجْدًا عَلَى الْهِمَمِ

قَرَى امْرَأَبَ وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهَا [20]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذِي أَرْضُ مَنْ نَهَضَا 35 بِالْكَدِّ مِنْ أَجْلِهَا سَعِيًّا إِلَى الْقِمَمِ
لَا أَرْضُ مَنْ قَالَ: أَرْضِي، وَاَنْطَوَى كَسَلًا دَعَّ عَنْكَ تَأْوِيلَ أَضْغَاثٍ مِنَ الْحُلُمِ
"أَوْخِيرُهُ، تَافَلَلْتُ" مِنْ قَرَى الْأَوَّلِ كَمْ غَيْرُهَا؟! لَمْ تُسَاعِفْنِي عَلَى النُّظْمِ
قَدْ قِيلَ عِشْرُونَ أَوْ فَوْقَ إِذَا حُسِبَتْ وَالْجَهْلُ بِالْمَوْضِعِ الْمَجْهُولِ لَمْ يَلَمْ
مِنْ بَعْدِهَا سَبْعَةٌ "تَاجِنِيْتُ" أَوَّلُهَا لِعُمْرِ أَلْفٍ وَقَاهَا اللَّهُ مِنْ هَرَمِ
و"آتُ بُنُورٍ" وَ"أَمْلِيَشْتُ" وَيَرْجَنُهَا غَرْدَايَةُ الْأُمِّ، "إِفْرَارَنُ" عَلَى الْعَلَمِ¹
و"آلُ بَرْقَانٍ"؛ آخِرُ الْقَرَى نَشَأَتْ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِهَا قَصْرٌ عَلَى هَرَمِ
تَاجِنِيْتُ: مِنْ قَرَبَةِ لِلْمَاءِ قَدْ عُرِفَتْ 40 -قَدْ قِيلَ- أَوْ غَابَةِ شَاعَتْ مِنَ الْكَرَمِ

¹ - أردنا بأنّ القرارة هي اليوم قمة القرى كما كانت يزجن في وقت القطب أطفيش رحمه الله.

وَأَلْ بُنُورَةَ: مِنْ أَصْلِ جَدَّهِمْ
عَرْدَايَةَ: أَصْلُهَا تَصْغِيرُهُمْ جَبَلٌ
وَيَزْجَنُ: -قِيلَ- مِنْ نِصْفٍ إِذَا قُسِمَتْ
مَلِيكَةً: لَيْسَ مِنْ مُلْكٍ كَمَا زَعَمُوا
قَرَارَةُ الْعَيْنِ: مِنْ أَرْضٍ بِهَا عُرِفَتْ
رِيَّانُ: مِنْ بئرِ رِيٍّ -قِيلَ- لَا أَثَقُ
لَمْ أَسْتَطِعْ حَصَرَ مَا عَنِ الْقَرْيَ ذَكَّرُوا
أَسْمَاؤُهَا هَذِهِ فَاحْفَظْ بِأَلَا جَدَلٍ
أَغْلَانُ أَمْزَابُ أَوْ عَرْدَايَةَ حِفْظًا
أَغْلَانُ لَا أَرْتَجِي أَرْضًا سِوَاهُ وَلَوْ

لَمَّا عَلَوْا ظَهَرَهَا بِالنَّفْسِ وَالْجَشْمِ¹
أَوْ أَنَّهَا غَابَةٌ تُسْقَى بِأَلَا سَاءَ
مِنْ عَدٍّ مَنْ فِي الْقَرْيَ السَّبْعِ بِمُنْصَرِمٍ²
بَلْ مِنْ بِلَادٍ "مَلِيكَشٍ" بِأَلَا وَهُمْ
بِأَنَّهَا قُرَّةٌ لِلْمَاءِ وَالْغَنَمِ
كَمْ مِنْ مَقَالٍ رَوُوا، وَالْحَقُّ لَمْ يُرْمِ
وَالشَّعْرُ يَأْبَى عَلَيَّ الْخَوْضَ فِي الرِّحْمِ³
فَالِاسْمُ -يَا نَاسُ- بِالتَّعْلِيلِ لَمْ يَقُمْ
وَكَثْرَةُ الْوَصْفِ مُنْبِئٌ عَنِ الْفَحْمِ⁴
فَدَ أَطْعَمُوهُ جَحِيمَ الْمَوْتِ وَالْأَلَمِ

¹ - الجشْم: تكلفُ الشيء، فأبناء بنور هم أول من استوطن هذا الموضع.

² - نقول بالمزائية "أزجن" بمعنى النصف، فقليل كان بها زهاء نصف سكان الوادي، ويؤيدُ هذا أنَّ يزجن كان بها أكثر القرى العتيقة.

³ - الرِّحْم: حالة من الدَّفع الشَّدِيد.

⁴ - الفحْم: التَّبِيل، وفيه معنى: الضَّخْم.

إِنْ كُنْتُ فِي الْبُعْدِ أَوْ طَرْتُ عَلَى الْأُفُقِ
أَغْلَانُ فِي مُهْجَتِي حَيٌّ يُكَلِّمُنِي

أَوْ سِرْتُ فِي الْبَحْرِ وَسَطَ الْمَوْجِ مُلْتَطِمٌ
لَبَّيْكَ أَغْلَانُ إِنِّي قَائِلٌ: "نَعَمْ"¹

أَمْزَابُ عَلَى بَوَابَةِ الدِّينِ وَالْحَضَارَةِ [31]

لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شَأْنٌ مِنَ السُّنَنِ
فِي كُلِّ شَيْءٍ تَرَى مَعْنَى وَتَرْجِمَةً
مَنْ إِرْثٍ مَازِيغٍ صِيغَ الْجِدُّ فَاِمْتَثَلًا
حَضَارَةٌ لَمْ تَقُمْ إِلَّا عَلَى الْعَمَلِ
بِالدِّينِ قَدْ قَوَّمَ الرَّبُّ النُّفُوسَ لَكِي
أَبْعَدَ بِهَا مِنْ حَضَارَةٍ فَقَدْ بَيَّسَتْ
إِنْ زُيِّنَتْ فَارْتَقَبْ يَوْمًا لِمَهْلِكِهَا
أَمْزَابُ -يَحْمِيهِ رَبِّي- لَمْ يَكُنْ أَبَدًا
مِنْ عُمُقِ قُرْآنِنَا صُغْنَا طَرِيقَتَنَا
قَوْلًا وَفِعْلًا وَبَاعْتِقَادٍ مُمَثِّلٍ

أَعْطَى لِمَزَابٍ مِنْهَا قِمَّةَ الْحَسَنِ
يَغْشَاهُ رُوحٌ مِنَ الْأَسْرَارِ فِي الزَّمَنِ
بِالْبَذْلِ لِلَّهِ فِي صِدْقٍ وَفِي رَزْنٍ²
فِي عُمَلَةِ الدِّينِ وَالْإِخْلَاصِ لِلْوَطَنِ
تَسْعَى لِقَصْدٍ نَبِيلٍ غَالِي الثَّمَنِ
تِلْكَ الَّتِي لَمْ تَقُمْ بِالدِّينِ فِي عِلَنِ
أَوْ عُمِرَتْ فَهِيَ فِي لَيْلٍ مِنَ الْمَحَنِ
يَعْلُو لِيَنْسَى اعْتِبَارَ الدِّينِ وَالسُّنَنِ
بِالْعَدْلِ فِي نَهْجٍ حَقٍّ صَادِقٍ مَرِنٍ
لَمْ نَرُضْ بِالْقَوْلِ وَالْإِنْجَازِ لَمْ يَكُنْ

¹ - الْمُهْجَةُ: دم القلب، وقيل: هو خالص النفس.

² - الرزْنُ: صفةٌ لاستكشافِ ثقلِ الشيء، ويُقالُ فلانٌ رزينٌ: أي وقورٌ.

حُبُّ الْهُدَى وَاتِّبَاعُ الْمُصْطَفَى نُقِشَا
 قَدْ قِيلَ عَنْ بَرَزٍ جَاؤُوا إِلَى عُمَرَ
 هَيْهَاتَ أَنْ يَرْفُضُوا نُورًا وَقَدْ عُنِمُوا
 مَا إِنْ أَتَى شَاعَ قَامَ الْكُلُّ يَحْمِلُهُ
 فِي مَذْهَبٍ وَاصِلٍ أَضْحَى يُنَاصِرُهُ
 حَتَّى انْبَرَى ابْنُ بَكْرٍ مِنْ عَلَى الْأُفُقِ
 فِي ثَلَاثَةِ مَنْ تَلَامِيذٍ وَمِنْ أُطُرٍ
 فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ خَيْرًا بَعْدَ مَسْغَبَةٍ
 مِنْ وَادٍ رِبْعٍ وَسَدْرَاتِهِ الَّتِي خَرِبَتْ
 أَكْرَمَ بِهِمْ فِي عَرَى الْإِسْلَامِ قَدْ جُمِعُوا
 مُحَمَّدَا يَا ابْنَ بَكْرٍ دُمْتَ سَيِّدَنَا
 فِي حِقْبَةٍ عَاشَ خَلْقُ اللَّهِ فِي عَنَتٍ
 جُوزِيَتْ فَضْلًا عَلَى نُورٍ غَدَا يَصِلُ

فِي طَبْعِنَا، لَمْ يُعَالَجْ لَا وَلَمْ يُخَنْ
 فِي رَغْبَةٍ لِاسْتِلَامِ الدِّينِ بِالْحِضَنِ 65
 أَوْ يَرْفَعُوا سَيْفَ انْكَارٍ عَلَى الثَّقَنِ¹
 يَرْمِي بَعِيدًا حَيَاةَ الشَّرِكِ وَالْوَثَنِ
 لَكِنْ غَدَا بَعْدَ حِينَ بُقْعَةِ الْإِحَنِ²
 كَأَنَّهُ الْمُصْطَفَى فِي هِجْرَةِ الْحَزَنِ
 سَوَى نِظَامًا عَلَى نَهْجٍ مِنَ الطَّعَنِ 70
 وَاسْتَحْسَنُوا جَنْبَهُ لِلْخُلْدِ وَالسَّكَنِ⁴
 مِنْ كُلِّ فَجٍّ أَبِي عَيْشًا مَعَ الْفِتَنِ
 مِنْ بَعْدِمَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِنَ الْوَهَنِ
 سَبَلَتْ عُمْرًا لِتُحْيِيَ الْعِلْمَ فِي الْمَدَنِ⁵
 تَحْتَ الطُّغَاةِ الْأَلَى لَمْ يُبْقُوا مِنْ أَمَنِ 75
 فِرْدَوْسَ عَدْنٍ مَعَ الْغُفْرَانِ وَالْمِنَنِ

¹ - العتَمُ: الكفُّ عن الشيء، فكأَنَّهُم افْتَقَدُوا النُّورَ فَاحْتَبَسُوا، والثَّقَنُ: الثَّقُلُ والدَّفْعُ، وَقَدْ ثَقَّنَهُ ثَقْنًا، إِذَا دَفَعَهُ.

² - الإِحَنُ: الحَقُودُ، جَمْعُ إِحْنَةٍ، وَهِيَ الْحَقْدُ.

³ - طَعَنَ: سَارَ وَارْتَحَلَ، وَفِي الْقُرْآنِ ﴿يَوْمَ طَعَنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [التَّحَلُّ: 80].

⁴ - الْمَسْغَبَةُ: حَالَةٌ مِنَ الْجُوعِ مَعَ التَّعَبِ.

⁵ - قَدْ كَانَ ابْنُ بَكْرٍ نَاشِطًا عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ فِي فِرَى إِبَاضِيَّةٍ غَيْرِ قَرَى مِزَابٍ.

يَا قَوْمِي الْجِدُّ ثُمَّ الْجِدُّ فِي الْعَمَلِ
 مِنْ مَذْهَبِ الْإِسْتِقَامَةِ الَّذِي امْتَزَجَا
 فِكْرُ سَلِيمٍ يُرِيدُ السَّلَامَ يَسْتَبِقُ
 أَنْعَمَ بِهِ مَذْهَبًا - اللَّهُ يَحْفَظُهُ -
 أُعْطِيتَ نَصْرًا وَعِزًّا، ذَلَّ شَانِيكَ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي لِمَ الْأَحْقَادُ تَحْتَدِمُ؟!
 لَوْ أَنْصَفُوكَ اسْتَفَادُوا سِرَّ مَنْهَجِكَ
 صَبْرًا إِذَا طَالَ لَيْلُ الشُّؤْمِ فِي ظَلَمٍ

80

وَاللَّهُ لَمْ نُعْطَ هَذَا الْخَيْرَ مِنْ رَكْنٍ
 مَعَ طِينَةِ الْعِرْقِ، صِرْنَا تَحْتَ مُؤْتَمَنِ
 يَبْنِي كَرِيمًا صُرُوحَ الْمَجْدِ فِي الْقُنَنِ¹
 حَتَّى وَلَوْ أَلْبَسُوهُ الْعَارَ بِالظَّنَنِ²
 لَنْ يُثْمَرَ الْحَقْدُ إِلَّا غِلَّةَ الدِّمَنِ³
 مَعَ مَذْهَبٍ قَدْ نَمَّا بِالْعَقْلِ وَالسَّكَنِ
 لَا يُحْسِنُ السَّمْعَ أَهْلُ الْجَهْلِ وَالرَّعَنِ
 فَالْفَجْرُ حَقٌّ، وَلَوْ قَدْ طَالَ لَمْ يَتْنِ⁴

نِظَامُ الْعَرَابَةِ [24]

كَالْتَوْرِ يَسْعَى عَلَى حِرْصٍ بِلَا وَهْنٍ
 مِنْ نَهْجِنَا مِنْ صَمِيمِ الدِّينِ قَدْ بَرَزَا
 نَجْمٌ عَلَى الْأَرْضِ يَهْدِينِي يُعَلِّمُنِي

85

فِي ثَوْبِهِ الْبَيْضِ يَكْسُو سَائِرَ الْبَدَنِ
 لِحْدَمَةٍ قَدْ غَدَتَ مِنْ أَصْعَبِ الْمِهَنِ
 مِنْ أَجْلِ شَأْنِي عَدَا فِي ثَوْبٍ مُرْتَهَنِ

¹ - الْقُنَنُ: جمع قُنَّة، وهو أعلى الجبل.

² - الظَّنن: جمع الظَّنَّة، وهي: التُّهْمَةُ.

³ - الشَّانِي: حامل الكراهية من الشَّيْء وهو الْبُغْضُ. والدِّمَن: جمع دِمْنَةٍ، وهي آثَارُ الْعَفَنِ.

⁴ - من الآن والأوان أي لم يحن بعد.

فِي حَلَقَةٍ اثْنَيْنِ مَعَ عَشْرٍ مِنَ الْكُفَّةِ
 شَيْخٌ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَعْلَى يُنَوِّرُهُ
 ثُمَّ الْإِمَامُ الَّذِي لِلْخَمْسِ قَدْ دَابَّ
 مُؤَذِّنٌ لَمْ يَنْمِ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ
 وَكَيْلٌ مَالٍ مَعَ الْأَوْقَافِ يَرْتَبِطُ
 ثَلَاثَةٌ - فَادِرٌ - بِالْقُرْآنِ قَدْ عَرَفُوا
 وَخَمْسَةٌ غَاسِلُوا الْأَمْوَاتِ تَشْهَدُهُمْ
 أَوْلِيَاكَ الْقَصْدُ، لَكِنْ خَلْفَهُمْ سَنَدٌ
 حَيَّاهُمْ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ مَكْرُمَةٍ
 هَذَا، وَقَدْ أَخْبَرَ التَّارِيخُ عَنْ قِصَصٍ
 فِي قَلَّةٍ سَيَّرُوا الْأَسْوَاقَ وَاخْتَرَعُوا
 وَافْتَتَحُوهَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَانْتَبَهُوا
 وَقَنَّنُوا كُلَّ أَمْرٍ حَسَبَ مَطْلَبِهِ
 وَهَكَذَا قَدْ حَمَوْا بِالِدِّينِ مَوْطِنَهُمْ

90

95

100

قَامَتْ عَلَى سِتِّ أَعْمَالٍ عَلَى الْحَسَنِ
 مِنْ حَوْلِهِ ثَلَاثَةُ الْإِزْوَانِ كَالْعَوْنِ
 لَا يَدْعِي السُّقْمَ أَوْ يَغْفُو إِلَى الدَّقَنِ
 مُؤْتَمِنُ الْعَيْنِ، جَدُّ، مُسْمِعُ الْأُذُنِ¹
 بِالسِّرِّ وَالْأَمْنِ يَسْعَى حَافِظَ الْمُؤْنِ
 لِلَّهِ قَدْ عَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ مَا ثَمَنٍ
 صَفًا مِنَ الْمَوْتِ حَتَّى مَهَبِطَ الْكَفَنِ
 وَالْعَدُّ يَعْلُو وَيَدْنُو حَسَبَ "فِي" وَ"مِنْ"؟²
 فِي وَطْأَةِ الْجِدِّ يَبْلَى كُلُّ مُفْتَتِنٍ³
 مَنْ غَيَّرُوا وَجْهَةَ الْمَسَارِ لِلزَّمَنِ
 فَلَسًا وَخَتَمًا مَعَ التَّسْجِيلِ وَالرَّقَنِ
 لِلذَّبْحِ وَالْغِشِّ وَالتَّذْلِيلِ وَالْغَبَنِ
 بِجُهِدِهِمْ لَنْ تَرَى حَقًّا وَلَمْ يُصْنِ
 لَمْ يَقْبَلُوا مَسَّهُ فِي طَرْفَةِ الْجَفَنِ

¹ - هذا لأَنَّهُ كَانَ يَصْعَدُ إِلَى أَعْلَى الْمِئْدَنَةِ لِيَقُومَ بِمِهْمَتِهِ.

² - بِمَعْنَى فِي أَيِّ زَمَنٍ؟ وَمِنْ سَيُوجَدُ لِيُصْلَحَ؟

³ - الْفِتْنُ: أَصْلُهُ إِحْرَاقُ الشَّيْءِ، وَفِيهِ سَيَقِطُ مَعَانِي الْوَضْعِ الشَّدِيدِ.

فِي صَدْرٍ أَعْرَاسِنَا إِذْ لَقْنُوا أَدَبًا
كَمْ يَسْتَحِي الْمَرْءُ مِنْهُمْ حِينَ يُبْصِرُهُمْ؟
كَيْفَ وَهُمْ بِاشْتِرَاطِ الدِّينِ قَدْ خَيْرُوا
لَمْ يَطْلُبُوا شُغْلَهُمْ حُبًّا لِمَظْهَرِهِ
لِكَامِلِ الْعُمَرِ فِي يُسْرِ وَفِي عُسْرِ
الْكُلِّ سَمِعَ هُمْ وَالْكُلُّ يَتَّبِعُهُمْ
وَمَنْ عَصَاهُمْ فَفِي الْهُجْرَانِ مَسْكَنُهُ

105

فِي دَارِ حُزْنٍ كَذَا، مَعَ فَيْضَةِ الشَّجَنِ¹
مِنْ هَيْبَةِ الْقَدْرِ لَا مِنْ وَصْمَةِ الْحَشَنِ
وَالذِّكْرِ فِي جَنْبِهِمْ، مَعَ طُهْرِ مُكْتَمَنِ²
بَلْ أُلْزِمُوا بَعْدَ تَذْيِيرٍ وَمُتَمَتِّحِينَ
لَا شُكْرَ لَا أَجَرَ إِلَّا جَنَّةَ الْعَدَنِ
وَقَدَرُهُمْ عَالِي الْحُسْبَانِ لَمْ يُشْنِ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ عَصَى الْقُرْآنَ بِالْعَلَنِ³

نِظَامُ الْبِرَاءَةِ [17]

إِنْ شِئْتَ تُبْصِرْ حَيَاةَ الْأَمْنِ فِي الْوَطَنِ
إِنْ لَوْحِظَ الْجُرْمُ فِي شَخْصٍ عَلَى وَضَحٍ

110

أَقْبِلْ عَلَى امْرَأَبٍ وَاشْهَدْ أَرْوَاعَ السَّنَنِ
بِالتُّصْحِ لَمْ يَرْتَدِعْ، جُرَّ إِلَى الْكَمَنِ⁴

¹ - الشَّجَنِ: الهمُّ والحزنُ.

² - المكْتَمَنِ: المكان الخفي، ونقصدُ به القلبَ والضَّمِيرَ.

³ - هذا باعتبار أنه ينطبق عليهم أولو الأمر بحق.

⁴ الكمن: مكان مختفٍ، إمعاناً في عدم فضحه أمام النَّاسِ بادئ الأمر.

بِالصَّوْتِ إِنْ شَاءَ أَوْ بِالسَّوْطِ يَسْتَمِعُ
 فِي مَسْجِدِ الْقَصْرِ فِي وَجْهِهِ مِنَ الْحَقِّ:
 مِنْ بَعْدِهَا لَا سَلَامَ لَا لِقَاءَ وَلَا
 الْكُلُّ بِالْمِثْلِ مَحْكُومًا وَمُخْتَكِمًا
 إِنْ فَرَّ لَمْ يَنْجُ مِنْ حُكْمٍ يُلَاحِظُهُ
 لَا سِجْنَ إِلَّا عَلَى الْإِبْعَادِ فِي أَدَبٍ
 إِنَّ الْفُؤَادَ الَّذِي بِالتَّبْضِ يَنْطَلِقُ
 هَيَّا بِنَا تُبْ، وَعُدْ لِلْأَهْلِ، وَاتَّعِظْ
 لِمَسْجِدِ الْقَصْرِ قُمْ، قَدْ طَالَ مَهْجَرُكَ!!
 فِي مَوْضِعِ الْهَجْرِ مَعَ دَأْبٍ عَلَى الطَّلَبِ
 أَنَا الَّذِي قَدْ فَتَحْتُ الْبَابَ مُجْتَهِدًا
 لِلَّهِ تُبْتُ، لَكُمْ قَدْ عُدْتُ، لَا أَبَدًا

لِلْأَهْلِ وَالصَّحْبِ قَبْلَ الْجَمْعِ فِي هَجْنٍ¹
 إِنْ فَلَانًا عَلَى الْهَجْرَانِ؛ فَلْيَكُنْ!²
 بَيْعَ، وَزِدْ جُمْلَةً مِنْ أَوْخَرِ الْحَقِّنِ
 ثُمَّ الَّذِي حَنَّ؛ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْقَرْنِ³
 115 أَوْ مَاتَ لَمْ يَلْقَ كُلَّ الْحَقِّ فِي الدَّفْنِ⁴
 لَا يَنْبَغِي ظُلْمُهُ أَوْ صَبُّ مُخْتَزِنِ
 لَمْ يَرْتَضِ بَعْدَ النَّصْحِ حَمَاءَ النَّتَنِ
 لَا تُصْغِ لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ لَا تَخُنِ
 ..لَبَيْكَ إِنِّي لَيْبٌ صَاحِبُ الْفِطَنِ
 يُعْطَى سُؤَالًا مِنَ الْعَزَابِ: "مَا" وَ"مَنْ"؟⁵
 120 عَلَى الْمَعَاصِي وَعَيْنُ النَّاسِ تَنْظُرُنِي
 لَا أَسْتَطِيعُ الْبَقَا مِنْ غَيْرِ مُقْتَرِنِ

¹ - الهجن: وضع من اللؤم والعيب، فذووه وعشيرته هم المكلفون برده ابتداءً.

² - إذا لم يقو أهله على رده مباشرة يرفع أمره إلى العزابة فيتبرؤون منه.

³ - القانون سار على الجميع؛ والذي يرق للمتبئ منه يلحق به، فيأخذ حكم البراءة.

⁴ - كأهم بهذا يريدون إفهام المتمرّد بأنك في كلّ الأحوال ستندم ولن تتمتع بحقوقك.

⁵ - بمعنى يُسأل "من أنت؟ وعن عصيانه "ما هو؟" في الموضع الذي أعلن عن هجرانه وليس بعد أن يلحّ كي يقبلوه؛ كل هذا ليشهد على أنّه ظلم نفسه بفعله ويبرهن على صدق توبته.

قَدْ ضِغْتُ ذَرْعًا وَلَا أَبْغِي لَكُمْ بَدَلًا..
يَا نَاسُ هَٰذَا الْمَعَاصِي الْيَوْمَ مَهْلَكَةٌ
قُمْ قَدْ عَفَوْنَا، فَلَا تَرْجِعْ إِلَى الدَّرَنِ
تُرْدِي إِلَى النَّارِ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْمِحَنِ¹
أَنْعَمَ بِهِ مِنْهَجًا فِي الذِّكْرِ قَدْ حَفِظَا 125
عَنْ شَأْنِ رُسُلٍ لِغَيْرِ الْحَقِّ لَمْ تَلِنْ

نظام إيروان [14]

سِتَوْنَ حِزْبًا بِسِيمَاهُمْ تُزَيِّنُهُمْ
نَهَجٌ مِنَ النُّظْمِ لَمْ يَشَأْ يُضَيِّعُهُمْ
أَكْرَمَ بِهِمْ كَالنُّجُومِ الْغُرِّ فِي الْمُدُنِ
فِي زَلَّةِ الْقَوْدِ حَتْمًا مَغْرِقُ السُّفُنِ
يَا عَاشِقَ الذِّكْرِ يَتْلُوهُ بِلاَ لَكِنْ
قَدْ قِيلَ مِنْ كَوْنِهِمْ يَرُؤُونِ مَا حَفِظُوا
يُعْطُونَ تَاجَ الَّذِي بِالطُّهْرِ قَدْ وُسِمَا 130
فِي حَفْلٍ أَنْسِ مَعَ الْخِلَافِ فِي فَرَحٍ
مِنْ بَعْدِهَا يُنْتَقَى الْأَكْفَاءُ لِلْعَمَلِ
أَوْ أَنَّهُمْ (فَتِيَّةٌ) فِي لُغَةِ الْوَطَنِ²
فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْقَدْرِ وَالشَّائِنِ
فَالْحَقُّ.. أَيَا مَنْ لَهُ الْإِتِمَامُ لَمْ يَحِنْ
يُدْعَوْنَ مَعَ قَصْعَةٍ بِاللَّحْمِ وَالِدَّهْنِ

¹ - وعادة ما يستغل العزابة الفرصة للتنبيه على خطر تلك المعصية وغيرها.

² - اللكن: العجمة والثقل في الكلام، والعنن: إشارة إلى إتقانهم لعلم القراءات، الذي يشتهر بموضوع "الغنة أو الغنن".

³ - فهي لفظة من روى يروي، أو باللغة الأمازيغية معناها فتيان.

يَا رَبِّ فَارْحَمْ سُيُوحًا حَطَّطُوا سَلَفًا
عَمِّي سَعِيدُ الَّذِي مِنْ جَرَبَةٍ وَقَدَا
قَدْ قَالَ: لَنْ تَصْنَعُوا عِزًّا بِلَا نُجْبٍ
مِنْ ثَمَّ فَالْعِلْمُ حَتْمٌ وَاجِبٌ لَهُمْ
فِي دَارِ عِلْمٍ بِهِمْ خُصَّتْ وَهُمْ سَنَدٌ
يَا فِتْيَةَ الدِّينِ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْأَدَبِ
مَنْ يَنْتَكِسْ بَعْدَ تَقْبِيلِ التُّجُومِ فَلَنْ

135

مِنْ أَجَلٍ أَنْ نَرْتَقِيَ لِأَرْفَعِ السُّنَنِ
يُحْيِي عُلُومًا وَيَمْحُو سَوْدَةَ الرَّيْنِ¹
لِلْعِلْمِ يَحْيُونَ دَوْمًا، قَاصِرِي الشَّطَنِ²
مِنْ بَعْدِ مَا حَصَلُوا الْقُرْآنَ فِي عَنَنِ³
مِنْ بَعْدُ لِلْحَلْقَةِ الْعُلْيَا لِمُمْتَهَنِ⁴
أَحْيُوا الْهَدَى، وَاحْذَرُوا مُسْتَنْقَعَ الْعَفَنِ.
يَحْيَا مَدَى الدَّهْرِ إِلَّا لِأَبْسَ الْهَوَنِ

إِمْصُرْدَانِ وَالْمَكَارِيسِ [20]

فِي خِدْمَةِ الْخَلْقِ تَلْقَاهُمْ مِنَ الصِّغَرِ
لَيْسَ الْفَتَى الرَّيْنُ فِي شَيْءٍ مِنَ الصُّدْفِ
أَسْيَادَ مِرَابٍ يَا صُنَاعَ مَفْخَرِهِ

140

رُبُّوا فَكَانُوا مِنَ الْأَبَاءِ بِالشَّبهِ
كُلُّ الَّذِي فِيهِ يَحْكِي الرَّيْنُ فِي أَبِيهِ
يَا كَوَكْبًا مِنْ إِمْصُرْدَانٍ لَمْ نَعِهِ

¹ - الرَّيْنُ: الطَّبْعُ عَلَى الْقَلْبِ، مِنْ رَانَ يَرَيْنُ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [المطففين: 14].

² - الشَّطَنُ: الْحَبْلُ الطَّوِيلُ، قَصَدْنَا لَيْسَ هَمَّهُمُ الدُّنْيَا وَالْمَالُ.

³ - الْعَنَنِ: الْإِعْتَاضُ، مِنْ فَعَلَ: عَنَّ، فَكَأَنَّهَا عَقَبَةُ اعْتَرَضَتْهُمْ فَتَجَاوَزُوهَا وَمِنْ ثَمَّ يَتَلَقَّوْنَ بَاقِيَ الْعُلُومِ.

⁴ - فَهْمٌ صَالِحُونَ لَخَلْفِ الْعَرَابَةِ فِي مُخْتَلَفِ مَهَامِهِمْ؛ وَإِنْ كَانَ طَلَبُ الْعِلْمِ هَدَفَهُمُ الْأَوَّلُ.

شُبَّانَنَا هُمْ، بِلَا عَدٍّ يُحَدِّدُهُمْ
 دِينًا وَخُلُقًا، وَفِي هَمٍّ يُورَثُهُمْ
 بَعْدَ الزَّوْجِ الَّذِي "أَرْجَأَل" يَسْبِقُهُ
 فِي مَجْلِسِ الذِّكْرِ حَيْثُ الْفَقْهُ يَلْزَمُهُ
 اجْلِسْ! تَأَدَّبْ! تَعَلَّمْ نُظَمَ السَّيْرِ
 مِنْ ثَمَّ فَرَضَ عَلَيْهِ نَحْوَ أُمَّتِهِ
 أَوَّلُهُ لَيْلَةٌ لِلَّهِ يَحْسَبُهَا
 مَنْ مُبْتَلَى يَرْتَجِي يَدًا تُخَلِّصُهُ
 أَوْ مِنْ مَرِيضٍ بَدَأَ لِلْسُّقَمِ أَوْ هَرَمٍ
 وَمِثْلُ هَذَا لَدَى النَّهَارِ فِي دَأْبٍ
 قَدْ قِيلَ: إِنَّ إِمْصُردَانَ أَنْفَسَهُمْ
 بَلْ إِنَّهُمْ مَنْ يُجِيدُ الْحَرْبَ مُقْتَدِرًا
 قَدْ أَحْبَرُوا فِي قَرِيبٍ عَنْ مَجَالِسِهِمْ

145

150

155

لِلَّهِ يَسْعَوْنَ صَفْوًا تَارِكِي الشُّبَّهِ
 يَحْيُونَ دَوْمًا عَلَى حُبِّ بِلَاكِرِهِ¹
 صَارَ الْفَتَى مِنْ إِمْصُردَانَ فَاثْتَبَهُ!
 هَذَا حَالٌ وَذَا الْحَرَامُ فَاتَّقِهِ
 وَهَكَذَا يَنْبَغِي تَنْشِيطُ مَسْجِدِهِ
 أَنْ يَسْتَجِيبَ النَّدَا مِنْ كُلِّ مَطْلَعِهِ
 يَسْعَى مَعَ الْجُنْدِ فِي سَيْرٍ وَمُنْتَبَهُ
 قَدْ غَرَّهُ الصَّحْبُ وَالشَّيْطَانُ مِنْ بَلَهٍ²
 أَوْ خُرَّةٍ صَرَخَتْ فِي نَكْبَةِ الْوَلَهٍ³
 كَأَنَّهَا سِيرَةُ الْفَارُوقِ، فَأَقْتَدِهِ!
 هُمْ الْمَكَارِسُ، رَأْيِي مَا اقْتَنَعْتُ بِهِ
 عَزَمًا قَوِيًّا عَدِيمَ الضَّعْفِ وَالسَّفْهِ
 فِي خَارِجِ السُّورِ عِنْدَ طِيبٍ مُنْتَزِهِ

¹ - الأرق: السهر، أي: يجعلهم يسهرون يفكرون فيه.

² - وهي صورة الذي غلبت عليه النية وسلامة الصدر.

³ - الولة: ذهاب العقل من فقدان حبيب، وربما كان هو الولد.

مِنْ لِبْسِهِمْ أَحْمَرٌ، فِي زَهْوِهِمْ نُظْمٌ
أَقْبَلَ إِلَى امْزَابٍ تُبْصِرُ نُظْمًا جَعَلَتْ
لَا خَيْرَ فِي أُمَّةٍ فِتْيَانَهَا دَهَسَتْ
إِنْ أُمَّةٌ قَدَّرَتْ شَبَابَهَا نَهَضَتْ

مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْهَبُوا فِي سُوءٍ مُتَّجِهٍ
كُلًّا عَلَى هَدْيِهِ حَتَّى ذَوِي الْعَتَةِ¹
لَمَّا تَخَلَّتْ، وَهُمْ مِنْ غَيْرِ مَا أَبَهُ²
وَحَصَّنتْ مَجْدَهَا مِنْ سُوءِ نَكْسَتِهِ

نِظَامُ تَفْسِيرِ دِينَ [19]

يَا مَرْأَةً قُصَّ عَنْهَا أَجْمَلُ النَّبَاِ
بِالْحَزْمِ فِي الدِّينِ وَالْأَحْكَامِ قَدْ عُرِفَتْ
مِنْ غَايِرِ الْعَهْدِ كَانَتْ سُلْطَةُ الْأَدَبِ
فِي هَيْئَةٍ قَدْ غَدَتْ كَالشَّمْسِ فِي فَلَكِ
مِنْ ثَمَّ فَالْمَسْجِدُ حَيٌّ بِسُلْطَتِهِ
يُخْتَرَنَ بِالْعَدْلِ مِنْ كُلِّ عَشَائِرِنَا
دِينٌ وَعَقْلٌ مَعَ الْأَخْلَاقِ فِي جَلَدٍ
فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ وَالشَّيْخُ عَنْ كَتَبٍ

فَاقَتْ نِظَامًا عَلَى بَلْقَيْسٍ فِي سَبَاِ
وَحُكْمُهَا الْفَصْلُ إِنْ جَاءَتْ عَلَى الْمَلَاِ
لَمْ تَقَوْ أَنْتَى عَلَى الْعِصْيَانِ لَوْ تَشَأْ
تَهْدِي هُدَى الْمَسْجِدِ الْأَعْلَى وَلَمْ تُسَيِّ
فِي كُلِّ شَأْنٍ عَلَى التَّسَاءِ مُنْطَرِي
وَفُقَ شُرُوطُ تَكُونُ قَبْلَ مُبْتَدَأِ
مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ وَمَنْ يَدْعُو لِمُتَّكَأِ³
دَارَ حَوْتُهُنَّ بَاتَتْ خَيْرَ مُلْتَجَأِ

¹ من معاني العتة نقص العقل من غير جنون؛ وأردنا هنا عموم ذوي التقص.

² من أبه يأبؤه أجبًا، أي تنبّه إلى أمر بعد غفلة وتجاهل له.

³ الجلد: القوة والصبر، بمعنى تَكُونُ ممن يَتَحَمَّل وبلا مشاغل عائلية تدعو إلى لزوم البيت.

مِنْ خَلْفٍ حُجِبَ لَهُ دَرَسٌ يُعَلِّمُهُ
 مَنْ يَمْنَعُ الْمَرْأَةَ الْعِلْمَ الَّذِي يَجِبُ
 بِصِفَةِ الْغُسْلِ خُصَّتْ، هَكَذَا الْأَثَرُ
 كَغَسَلِهَا الْمَيِّتَ فِي مُسْتَحْكَمِ النُّظْمِ
 تُطْمَئِنُّ الْأَهْلُ لَا تَرْضَى عَنِ النَّدَبِ:
 لِلَّهِ تَسْمَعِي بِلَا كَلٍّ وَلَا مَلَلٍ
 فِي خِطْبَةٍ أَوْ زَوَاجٍ أَوْ مُدَارَسَةٍ
 تَحْقِيقُ سِنٍّ؛ وَضَبَطَ الْقُرْءَ وَالْعِدَدَ
 هُنَّ اللَّوَاتِي حَفِظْنَ الْعَهْدَ مُتَّصِلًا
 هُنَّ السِّرَاجُ الَّذِي فِي الدُّوْرِ قَدْ سَطَعَا
 نَمُودَجٌ رَائِعٌ أَعَزَّ مَرَاتِنَا

170

175

أَوْ هُنَّ يَقْصِدْنَ سِتْرًا؛ حَيْثُ لَمْ يَجِ
 بَاءُ الرَّدَى، وَهِيَ فِي قَدْرِ وَلَمْ تَبُؤْ¹
 وَشُغْلَهَا فَوْقَ ذَا فِي الْوَقْتِ وَالْعِبَاءِ
 لِنِسْوَةٍ أَوْ صَبِيٍّ جَاهِلِ الْخَبَاءِ²
 الْمَوْتُ يَأْتِي عَلَى كُلِّ بِلَا نَبَأٍ
 فِي مُشْكِلٍ، هَمُّهَا تَقْضِي عَلَى الشَّنْءِ³
 لِلذِّكْرِ فِي مَجْلِسٍ عَذْبٍ وَمُمْتَلِيٍّ
 تَعْلِيمِ خَمْسٍ؛ وَكَيْفَ الصَّوْمِ مِنْ ظَمَأٍ؟
 أَثْبَتْنَ هُجْرَانَ مَنْ لِلتَّوْبِ لَمْ يَشَأْ
 يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ يَحْمِيهَا مِنَ الْخَطَا
 فِي مَنَهِجٍ لَمْ يُخَادِعْهَا وَلَمْ يَسْئِ

¹ - بَاءٌ: وقع في شيء لا يرغبه ولا يخرج له منه، والرّدى: الهلاك.

² - الخبء من الخبيئة والاختباء، والمراد لم يصلوا إلى مستوى التمييز.

³ - الشَّنْء: البغض، وهو الشَّنَان.

نِظَامُ الْعَشَائِرِ [34]

دَعُ عَنْكَ ذَنْبَ اخْتِلَاقِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
مَا لِلْأَبَاطِيلِ تُعْزَى لِعَشَائِرِنَا
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ كُلَّ النَّاسِ فِي نَسَقٍ
كُلٌّ بِفِكْرٍ وَلَوْ نِظَامٌ يَحْمَدُهُ
أَنْعَمَ بِهِ مِنْ نِظَامٍ ظَلَّ مِنْ قَدَمٍ
كَمْ مَرَّقَ الْغَرْبُ مِنْ حَبْلٍ وَمِنْ رَحِمٍ
هَيْهَاتَ لَنْ تَشْهَدَ الْبُلْدَانُ عِزَّتَهَا
لَمْ يُهْمِلِ الْخُرُّ مَنْ فِي الْقُرْبِ عَنْ عَوَازٍ
فَانْزِلْ إِلَى امْزَابٍ تَشْهَدُ نَخْوَةَ الشَّرَفِ
لَا طِفْلٌ لَا أُمَّ فِي امْتِنَهَانٍ مَسْأَلَةٍ
لَيْسَ الْغِنَى عِنْدَنَا بِالْمَالِ، فَانْتَبِهْ!
لَمْ نَبْنِ يَوْمًا دِيَارَ الدُّلِّ وَالْهُونِ
إِنْ شَاخَ فِينَا الْأَبُ بِالْحُبِّ نَحْدُمُهُ
إِنْ مَاتَ قَلْبُ الْفَتَى أَوْ حَلَّهُ الصَّدَأُ
مِنْ أَجْلِ تَصْحِيحِ ذَا قَامَتْ عَشَائِرُنَا

180

185

190

مَنْ يُحْسِنُ الظَّنَّ يَأْتِي النَّاسَ عَنْ كَثَبٍ
وَهِيَ النِّظَامُ الَّذِي فِي الذِّكْرِ لَمْ يُعَبِّ
بَلْ نَوْعَ الْجِنْسِ فِي الْأَرْضِ مَعَ الْحَقَبِ
مَنْ غَيْرِ هَذَا سَيَبْقَى الْعَيْشُ لَمْ يَطْبِ
فِي سَائِرِ الْمَغْرِبِ الْمُعْتَزِّ بِالنَّسَبِ
لَمَّا اكْتَفَى بِنِظَامِ الْإِسْمِ وَاللَّقَبِ
فِي حِينٍ تَحْكِي ابْتِعَادَ النَّاسِ فِي الرُّتَبِ
حَتَّى انْطَفَتْ فِيهِ نَارُ الْهَبِّ فِي الطَّلَبِ
فِي مَظْهَرِ الْفَخْرِ بِالسَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ
أَوْ شَارِدٍ يَمْلَأُ الْأَجْوَاءَ بِالرُّعْبِ
إِنَّ الْغِنَى كَسْبُنَا لِلْقَلْبِ مِنْ ذَهَبٍ
لَمَّا امْتَلَكْنَا قُصُورَ الْأُنْسِ وَالْأَدَبِ
أَمَّا عَنِ الْأُمِّ فَالْتَّعْيِيرِ لَمْ أُصِبِ
لَمْ تُجَدِ فِي نُصْحِهِ لَوْ أَبْلَغُ الْخُطْبِ
بِالرُّوحِ وَالْفِكْرِ قَبْلَ الطُّوبِ وَالْقَبَبِ

كَمْ مِنْ يَتِيمٍ بَكَى وَالْأُمُّ أَرْمَلَةٌ؟
 كَمْ سَائِرٍ نَحَوَ عِلْمٍ عَصَهُ الزَّمَنُ؟
 أَوْ مُثْقَلٍ بِالدُّيُونِ اللَّيْلَ لَمْ يَنَمْ؟
 وَهَكَذَا كَمْ شَبَابٍ شَطَرَهُمْ حَصَلُوا؟
 أَعْرَأْسُنَا الْيَوْمَ فِي يُسْرِ عَلَى قِيمٍ
 فِي وَجْهَهَا صُورَةُ الْإِحْسَانِ مَائِلَةٌ
 لَيْسَ بِهَا مَظْهَرُ الْإِسْرَافِ وَالْبَذْخِ
 عَشَائِرُ امْرَأَبَ فِي التَّارِيخِ مُعْجِزَةٌ
 هِيَ الَّتِي سَيَّطَرَتْ فِي سَائِرِ الْحَقَبِ
 مِنْ صُورَةِ الْحُبِّ فِي دِينٍ وَمَقْرَبَةٍ
 كَمْ مِنْ بَعِيدٍ حَوَتْ أَوْ نَازِلٍ قَبِلَتْ
 إِنَّ هَمَّ بِامْرَأَبَ شَرٌّ لَمْ تَجِدْ أَحَدًا
 أَوْ حَلَّ بِالْأَرْضِ خَيْرٌ نَظَّمُوهُ بِلَا

195

200

205

كَمْ مُعْدَمٍ أَوْ سَقِيمٍ عَاشَ فِي نَصَبٍ؟
 أَوْ مُنْهَكٍ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ الْعَزَبِ؟¹
 كُلُّ قَضَى أَمْرُهُ، وَالظَّنُّ لَمْ يَخِبْ
 فِي خُطَّةٍ وَنِظَامٍ فَائِقِ الْعَجَبِ
 فِي سُنَّةِ الْمُصْطَفَى سَارَتْ وَلَمْ تَثِبْ²
 بِالذِّكْرِ تُحْيَا بِلَا لَهُوَ وَلَا طَرَبٍ
 بِالسَّعْيِ لِلَّهِ ظَلَّتْ خَيْرَ مُكْتَسَبِ
 تَحْكِي صُمُودَ الْقُرَى فِي أَعْصُرِ الْكُرْبِ
 وَتَعْتَفِي فِي وُجُودِ الْمَسْجِدِ اللَّجَبِ³
 قَدْ شُكِلَتْ، لَا عَلَى سِيَاسَةِ الْغَلَبِ
 أَوْ خَائِفٍ هَدَّاتٍ بِالضَّمِّ لِلْجَنَبِ
 إِلَّا وَقَدْ قَامَ صَفًّا تَحْتَ مُلْتَهَبِ
 حَرْبٍ، وَلَا هَضْمٍ حَقَّ الْغُفْلِ بِالْكَلْبِ⁴

¹ - الْعَزَبُ صِفَةُ الرَّجُلِ غَيْرِ الْمُنْتَوِّجِ، وَالْعَزَبَةُ لِلْأُنْثَى؛ وَالْأَسْمُ الْعَزُوبَةُ.

² - مِنَ الْوُثُوبِ وَهُوَ الْقَفْزُ؛ أَيْ لَمْ تَقْفِزْ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْمُنَاجِجِ.

³ - اللَّجَبُ: صَوْتُ الْعُسْكَرِ، إِشَارَةٌ إِلَى تَمَكُّنِهِ مِنْ زِمَامِ قِيَادَةِ الْجَمْعِ؛ وَإِذَا وَهَنَ كَانَتْ الْمَسْئُولِيَّةُ مُبَاشَرَةً عَلَى كِبَارِ الْعَشَائِرِ، وَمَا جَمَعَ الْعَشَائِرَ الْيَوْمَ إِلَّا صُورَةٌ مُوَلَّدَةٌ عَنْ تِلْكَ.

⁴ - الْغُفْلُ: مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا حَسَبَ لَهُ، الْكَلْبُ: غَايَةُ مِنَ الشَّرِّ وَالْأَذَى.

هَٰذِي عَشَائِرُنَا فِي عِزَّةٍ نَشَأْتُ
لَيْسَ شُمْوُخُ الْمَبَانِي آيَةً الْعِظَمِ
إِنْ شِئْتُمْ نَرْتَقِي نُسَايِرَ الزَّمَنَا
إِنَّ الْحِوَارَ الَّذِي يُعْلِي مَصَالِحَنَا 210
يَا طَامِعًا فِي مَقَامٍ لَا يُنَاسِبُهُ
يَا مَنْ يَقُودُ الرِّجَالَ الصَّبْرُ يَلْزُمُكَ
لَمْ نَرْتَضِ أَنْ تَمُوتَ الْيَوْمَ فِي عَطَبٍ¹
حَتَّى تَرَى النَّاسَ فِي فِكْرٍ وَفِي أَدَبٍ
بِالْجِدِّ وَالْفِعْلِ لَا مِنْ كَثْرَةِ الصَّخَبِ
لَمْ يُبْنَ إِلَّا عَلَى مِئْصَةِ التَّعَبِ
أَقْعُدْ، فَمَا أَنْتَ إِلَّا قِصَّةَ الشَّعْبِ
إِنْ لَمْ تُطِقْ فَانْسَحِبْ، فَالْقَوْدُ لِلنُّجَبِ

مَجْلِسُ الشَّيْخِ عَمِّي سَعِيدٍ [35]

فِي وَحْدَةِ الصَّفِّ لَا فِي كَثْرَةِ الشُّعْبِ
لَمَّا أَحَسَّتْ قُرَى امْرَأَتِ الضَّنَى انْبَعَثَتْ
الْجُهْلُ إِنَّ حَلَّ فِي قَوْمٍ أَتَتْ تَبَعًا 215
لَكِنَّ رَبِّي الرَّحِيمَ قَدْ قَضَى سَلَفًا
مَنْ تَمَّ جَاءَ سَعِيدُ الْخَيْرِ فِي رُسُلٍ
كَمْ حَصَلَ النَّاسُ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ رُتَبٍ!
تَرْجُو خَلَاصًا لَهَا مِنْ وَضْعِهَا الْخَرَبِ²
تَتَرَى عَلَيْهِمُ غُيُومَ الضَّعْفِ وَالْوَصَبِ³
يُتِمُّ نُورًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مُرْتَغَبٍ
قَدْ يَمَّمُوا جِرْبَةً بِالْغَيْثِ وَالطَّلَبِ

¹ - فليعلم النّشء أنّ الأنظمة المعاصرة اليوم تأبى هذه التكتلات العشائريّة، وفترة ما بعد الاستقلال خير شاهد

على هذا، فقد وضع مخطّط صارم لطمس عشائرتنا لكنّه فشل.

² - الضنّى: المرض والهزال وسوء الحال.

³ - الوصب: المرض والوجع الدائم وتحوّل الجسم.

لَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قَدْرٌ مِنَ الْقِيَمِ
أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ رِجَالٍ ظَلَّ ذِكْرُهُمْ
أَرْسَى لَهُمْ مَجْلِسًا بِالْعِلْمِ يَجْمَعُهُمْ
أَوْ قِيلَ بَلْ هِيَؤُوهُ قَبْلَ مَقْدَمِهِ
ضَمَّ الْفَرَى الْخُمْسَةَ مِنْ بَعْدِهَا لِحَقًّا
فَأَمَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ الْأَشْيَاحِ فِي الْبَلَدِ
مَقَرَّهُمْ فَضَّلُوا فِي قَلْبِ مَقْبَرَةٍ
كَذَا لِعَمِّي سَعِيدٍ يَحْفَظُ الْأَثَرَا
رَيْسُهُمْ شَيْخٌ وَادِي أَمْزَابٍ يُنْتَحَبُ
وَكَاتِبٌ ثُمَّ سَبْعٌ لِلْقَضَاءِ أَتَوْا
كَانَتْ لِقَاءَتُهُمْ فِي الْعَامِ أَرْبَعَةً
رِعَايَةُ الْعُرْفِ أَوْ إِقْرَارُ مَسْأَلَةٍ
ضَبْطُ الْمَكَايِلِ أَوْ تَعْيِينُ عُمَلَتِهِمْ
عَقْدُ الدِّفَاعِ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالنُّظُمِ

220

225

230

مَا اسْتَقْبَلُوهُ فَتَى فِي حَضْرَةِ الشَّيْبِ
وَهَكَذَا الْعِزُّ لَا بِالْمَالِ وَالْحَسَبِ¹
وَقَدْ غَدَا بِاسْمِهِ كَالشَّمْسِ فِي قُطْبِ
وَقَبْلَ كُلِّ خُدُوثٍ قِصَّةُ السَّبَبِ
مَنْ كَانَ فِي بُعْدِ حَيِّ سَاعَةِ الْأَرْبِ²
عَنْ صُورَةِ الْحَزْمِ وَالْإِخْلَاصِ لَمْ تَغِبِ
حَيْثُ ادِّكَارُ الَّذِي يَجْثُو عَلَى الرُّكْبِ
ثُمَّ عَلَى السِّرِّ يَبْقَى كُلُّ مُكْتَتَبٍ
فِي حَفْلَةٍ أَيْنَ يَبْدُو فَاخِرَ الْقُشْبِ³
مِنْ كُلِّ قَصْرِ؛ وَهُمْ مِنْ خَيْرَةِ النُّحْبِ
حَوْلَ مَهَامٍ، وَهُمْ لِلنَّاسِ فِي دَابِ
حِمَايَةِ الْوَقْفِ أَوْ تَذْيِيرُ مُرْتَقِبِ
فَضُّ النَّزَاعَاتِ أَوْ إِرْجَاعُ مُعْتَصَبِ
رَبْطُ اتِّفَاقَاتِ صُلْحٍ عَبْرَ مُنْتَدَبِ

¹ - التَّشْب: المألُ الأصيل، وبالخصوص العقار.

² - الأرب: الحاجة، فقد لحقت به القرارة وبريان وورجلان بعد مدّة.

³ - القشب: الأملس والطريّ والتاعم، وأردنا به الملبس على تلك الصّفة.

تَرْسِيمُ أَهْلِ الْقَضَا فِي التَّلِّ وَالْبَلَدِ
وَهَكَذَا خَلَفَ التَّارِيخُ قِصَّتَهُمْ
تَحْكِي لَنَا كَيْفَ كَانَ الْعَدْلُ يَنْبَسِطُ
إِذْ يُقَدِّمُ الْمَسْجِدُ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعِ
نَفْيً، قِصَاصٌ، غَرَامَاتٌ، لِمُنْتَهَكِ
وَبَعْدَهَا مَنْ عَلَيْهِ الْغُرْمُ يَدْفَعُهُ
مَنْ لَمْ يَجِدْ قَدْرَ غُرْمٍ عَاجِلًا نَفِيًّا
وَأِنَّهُ يُرْجَعُ الْمَنْفِيُّ إِنْ دَخَلَ
ثُمَّ الَّذِي سُلْطَةُ التَّنْفِيدِ يَعْزِزُ
لَيْسَ الْحَلِيمُ الَّذِي يَعْفُو عَنِ الزَّلَلِ
وَهَكَذَا الْمَجْلِسُ فِي أَوْجِ سُلْطَتِهِ
فَاخْتَصَّ بِالْغُرْمِ وَالتَّعْزِيرِ بِالْحِيلِ
حَتَّى اخْتَفَى الْمَجْلِسُ حِينًا مِنَ الزَّمَنِ
يَا مَجْلِسًا لَمْ تَزَلْ لِلْحَقِّ تَنْطَلِقُ

لَمَّا صَفَا الْحُكْمُ فِيهِمْ قَبْلَ مُنْقَلَبِ
فِي حُزْمَةٍ مِنْ بَقَايَا أَقْدَمِ الْكُتُبِ
بِالْجِدِّ وَالْحَزْمِ لَمْ يَأْبَهُ بِذِي حَسَبِ
يُلْقِي بَيَانًا لِمَا قَدْ سُنَّ فِي الْحُجُبِ 235
فِي صُورَةٍ أَفْصَحَتْ لَمْ تُبْقِ مِنْ رَيْبِ
حَتَّى وَلَوْ سُلَّ مَا فِي الْبَيْتِ مِنْ قَرَبٍ¹
إِلَّا إِذَا مَسَّهٗ إِحْسَانٌ مُحْتَسِبِ
لَوْ عَجَّلَ الْوَقْتَ أَوْ الدَّفْعَ لَمْ يُصِبِ
يُلْقَى جَدِيدًا مِنَ التَّعْزِيرِ وَالْغَضَبِ 240
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْطَعَ الْأَسْبَابَ لِلشَّغَبِ
حَتَّى أَتَتْ صَرْخَةُ الْمُحْتَلِّ بِاللَّهَبِ
لَمْ يُبْقِ إِلَّا شُؤُونَ الْفِقْهِ فِي غَرْبٍ²
فِي فِتْرَةٍ مِنْ جَحِيمِ الْمَوْتِ وَالرَّهَبِ
إِخْفَظْ لَنَا عَهْدَ أَجْدَادٍ وَلَا تَغِبِ 245

¹ - سَلَّ: انتزع الشيء برفق، وقَرَّبَ: جمع قربة، وعاءٌ يُجعل فيه الماء أو اللبن للتخزين ثُمَّ الشُّرْبُ، أي من لم يجد مالا يدفعه حملوه على تسليم أولاني بيته لتسديد غُرمه.

² - الْعَرْبُ: البُعْدُ، فالاحتلال الفرنسي سلب مهام المجلس وترك له مجال الفقه والافتاء.

جَدِّدْ؛ وَكُنْ نَيْرَ الْأَفْكَارِ وَالْخُطْبِ
حِكَايَةَ الضَّعْفِ مَعَ تَعَاظِبِ الْحَقِّ

إِعْرِفْ لِدِي كُلِّ فَنٍ قَدْرَهُمْ؛ وَقُمْ
إِذَا ارْتَقَى الْفِكْرُ بِالتَّجْدِيدِ لَمْ تَجِدْ

الفصل الثاني: أَمْزَابُ عَبْرِ الْحَقِّ التَّارِيخِيَّةِ

أَوَّلًا: العهد القديم

من النشأة إلى 850 هـ عهد الشيخ عمي سعيد

1- من النشأة إلى بداية المذهب الإباضي [33]

تَحْكِي عَنِ الْمَجْدِ مَا لَا عَيْنَ قَدْ رَأَتْ
فِي غَابِرِ الدَّهْرِ نَحْوَ هَذِهِ الْجَهَةِ
وَيَنْتَهُونَ إِلَى مَازِيغٍ فِي صَلَةِ 250
خَضِرَاءَ أَفْرِيْقِيَا فِي أَغْصُرِ السَّعَةِ
مِنْ غَيْرِ تَغْرِيبِهِ لِطَمَسِ هُؤَيْتِي
وَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ مِنْ فِتَّةٍ هَوَتْ
وَقَدْ أَتَى الدِّينَ حُبًّا غَيْرَ مُنْفَلِتٍ
مِنْ فَوْقِنَا الْبَحْرَ وَالصَّحْرَاءُ مِنْ تَحْتِ 255¹

أَمْزَابُ يَا نُكْتَةً مِنْ صَادِقِ الثُّكْتِ
أَمْزَابُ أَبْنَاءِ مَازِيغِ الَّذِي وَقَدَا
"زَنَاتَةٌ" أَصْلُهُمْ وَ"الْبُتْرُ" شَعْبُهُمْ
مِنْ فَرْعِهِ مُصْعَبُ أَبْنَاؤُهُ سَكَنُوا
سَاقِبْلُ مَغْرِبِ الْإِسْلَامِ تَسْمِيَةً
بِالْفَخْرِ لِلْغَةِ الْقُرْآنِ نَنْتَسِبُ
كَمْ كَابَدَ الْمَغْرِبُ مِنْ قَسْوَةِ الْعَرَبِ
نَحْنُ الْأَمَازِيغُ مِنْ طَرْفٍ إِلَى طَرْفٍ

¹ - أي شمال أفريقيا كله كان الموطن الأصلي للامازيغ ولا يزال.

أَمْزَابٌ أَضْحَى لَهُ مَعَ جُلُوهُمْ نَسَبٌ
 قَرْنًا فَقَرْنًا أَتَوْا لَا هَجْرَةَ هَرَبُوا
 لَمْ يَعْرِفُوا صُورَةَ الصَّخْرَاءِ وَالْكَبَدِ
 فَاسْتَوْطَنُوا وَادِيَ الْأَخْجَارِ وَاعْتَصَمُوا
 وَبَعْضُهُمْ حَيْرًا الْغَيْرَانِ وَالْخِيَمَا
 وَاسْتَحْدَثُوا أَرْضَ زَرْعٍ شَاعَ مَنْظَرُهَا
 فِي أَرْضٍ رِيحٌ بِهَا الْمَنَاخُ يَضْطَرِبُ
 لَيْسَ اللَّيْبُ الَّذِي يَفْنَى مَعَ الْفِتَنِ
 لَكِنَّهُمْ بَعْدَ حِينٍ أَدْرَكُوا خَطَرًا
 فَاسْتَحْسَنُوا عَيْشَهُمْ فِي قِمَّةِ الْجَبَلِ
 يَحْكِي لَنَا مَنْظَرُ الْأَثَارِ فِي الْحَجَرِ
 قَدْ قِيلَ مَاتُوا وَجَاءَ أَمْزَابٌ بَعْدَهُمْ
 لِلشَّمْسِ وَالطَّيْرِ وَالْأَفْلَاكِ قَدْ عَبَدُوا
 مِنْ خَلْفِهِمْ خَلَدَ التَّارِيخُ مُعْتَقِدًا
 لَكِنْ فَمَا إِنْ أَتَى الْإِسْلَامُ هَزَهُمْ

260

265

270

وَإِنْ غَدَا الْيَوْمَ هَذَا تَحْتَ مَقْبَرَةٍ¹
 دَعَّ عَنْكَ تَذَلُّيسٌ مَنْ لِلْحَقِّ قَدْ لَوَتْ
 لَوْلَا حُرُوبُ الرَّدَى لِلْعَيْشِ قَدْ أَبَتْ
 بِدُورٍ طِينٍ وَهُمْ فِي كَامِلِ التَّقَةِ
 شَأْنٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْوَامِ قَدْ خَلَتْ
 تَسْتَقْبِلُ النَّاسَ بِالْأَغْنَامِ إِنْ رَعَتْ
 وَالْعَيْثُ قَدْ لَا يُرَى فِي كَامِلِ السَّنَةِ
 وَهُوَ ضَعِيفُ الْعَتَادِ فَاقْدُ الْفَيْتَةَ
 فِي الْمَاءِ يَطْعَى وَفِي الْعَارَاتِ إِنْ بَغَتْ
 مِنْ تَمَّ جَاءَتْ قُصُورُ الْوَادِي فِي سِمَةِ
 مَنْ قَبَلْنَا عَمَّرُوا، وَالْحَقُّ قَدْ رَوَتْ
 أَوْ أَنَّ مِنْهُمْ بَقَايَا قَلَّةٍ بَقَتْ
 "أُمُونُ" ظَنُّوا إِلَهَ صَادِقِ الصَّلَةِ
 مِنَ الْأَعَاجِبِ يُحْكِي وَاضِحَ الصِّفَةِ
 فَاسْتَقْبَلُوا نُورَهُ فِي خَيْرِ مَحْمَدَةِ

¹ - فقد أصبح أغلب ذلك النسب في مقبرة التسيان.

خَلُّوا بَعِيدًا صِرَاعَ الْبَيْنِ وَاتَّحَدُوا
فِي مَذْهَبِ الْإِعْتِرَالِ اسْتَأْنَسُوا وَعَدُوا
لِكِنَّهُمْ حَارَبُوا تَاهَرَتْ فِي عَلَنٍ
مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ لَا عَبْدٌ سَيَفْتِنُهُ
أَمْزَابُ يَا أُمَّةً ظَلَّتْ مِنَ الْقَدَمِ 275
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهَا شَأْنٌ تُخَلِّدُهُ
مَنْ ضَيَّعَ الْفَخْرَ بِالتَّارِيخِ لَمْ يَجِدِ
مَنْ حَصَلَ الْعِلْمَ بِالتَّارِيخِ صَارَ لَهُ
بِئْسَ الَّذِي يَجْهَلُ التَّارِيخَ يُبْعِدُهُ
إِنْ أُمَّةٌ أَهْمَلَتْ تَارِيخَهَا كَشَفَتْ 280

لَمْ يَرْتَضُوا نَهَجَ عَمْرُوسٍ وَكَاهِنَةٍ¹
بَعْدُ إِبَاضِيَّةً مِنْ غَيْرِ مَلْحَمَةٍ
وَحَرَّكُوا ضِدَّهُمْ مُسْتَهْجَنَ الشَّفَةِ
لَا بَعْدَ نُورِ الْإِلَهِ الْحَقِّ مِنْ هِبَةٍ
لَمْ تَرْضَ ذُلًّا، وَسِرَّ الْعِزِّ قَدْ وَعَتْ 275
فِي قِمَّةِ الْعِزِّ تَحْيَا آخِرَ الْمِئَةِ
أَقَلَّ مَا يَسْتَحِقُّ الْمَرْءُ مِنْ زِنَةٍ
نُورًا؛ بِهِ يُبْصِرُ الْأَخْطَارَ إِنْ أَتَتْ
يُبْدِي لَنَا مَظْهَرًا وَالْوَضْعُ فِي عَنَتِ
لِلْغَيْرِ مِنْ صَدْرِهَا مُسْتَهْدَفَ الرِّئَةِ 280

¹ - هي أعلام بارزة في تاريخ الأمازيغ شمال أفريقيا؛ للمزيد يُراجع تاريخ ابن خلدون.

2- قِصَّةُ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفُرْسَاطِيِّ بِمَرَّابَ [18]

إِنَّ ضَاقَتِ الْأَرْضُ مِنْ هَوْلٍ وَمِنْ حَدَثٍ
 لَمَّا هَوَتْ دَوْلَةُ التَّاهَرْتِيِّينَ سَعَوْا
 وَاجْتَمَعُوا فِي أَرِيغَ، الْحَيْرَ قَدْ طَمَعُوا
 نَحْوَ الْجَنُوبِ فَسِرُّ وَانْظُرْ لَنَا وَطَنَا
 لَمْ نَرْضَ إِلَّا سَلَامَ الدِّينِ وَالنُّظُمِ 285
 بِالدِّينِ يَحْيَا الْوَرَى فِي الْحَيْرِ وَالنِّعَمِ
 تَفَاءَلَ الْحَيْرَ عِنْدَ امْرَبَ وَاتَّجَهَا
 مِنْ شَأْنِهِ كَانَ يَأْتِي امْرَبَ فِي دَابٍ
 يَوْمًا فَيَوْمًا أَرَاهُمْ مَذْهَبَ النُّجُبِ
 وَاسْتَهْدَفُوا حِلْمَهُ بِالرَّدِّ وَالْعَنْتِ 290
 لَكِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِيهِمْ عَلَى طَمَعٍ
 بِالصَّبْرِ وَالْكَرِّ يَلْقَى الْمَرْءَ مَا طَلَبَا
 شَيْئًا فَشَيْئًا أَفَاقُوا، عَيْنُهُمْ مَسَحُوا
 لَمْ يَرْضَ الْحُرَّ إِلَّا هَجْرَةَ الْوَعَثِ¹
 لِلَّهِ أَتْبَاعُهُمْ مِنْ كُلِّ مُبْتَعَثٍ
 يَرْجُونَ مِنْ "إِبْنِ بَكْرِ" جَوْلَةَ الْبَحْثِ:
 كَيْ نَحْتَمِي مِنْ أَيْدِي الْبَطْشِ وَالْعَبْثِ
 بِهِ سَنَحْيَا، وَخَيْرٌ مِنْهُ لَمْ نَرِثِ 285
 مَا الْفُسْقُ إِلَّا حَيَاةَ الدُّلِّ وَاللَّهْثِ
 مَعَ ثَلَاثَةٍ قَدْ بَدَتْ فِي غَايَةِ الدَّمْثِ²
 كُلَّ رَبِيعٍ عَلَى مُخْتَلَفِ الْمَكْثِ
 لَكِنَّهُمْ قَابَلُوهُ الطَّيِّبَ بِالْحَبْثِ
 حَتَّى رَمَوْا ابْنَهُ بِالْقَتْلِ فِي الْجَدَثِ 290
 يَسْعَى النَّهَارَ وَيَدْعُو اللَّهَ فِي الثُّلَثِ
 مَا الرِّبْحُ إِلَّا وَرَاءَ السَّيْرِ وَالشَّعْثِ³
 وَاسْتَسَمَحُوا شَيْخَهُمْ عَنْ زَلَّةِ النَّكَثِ

¹ - الْوَعَثُ مِنَ الرَّمْلِ: مَا غَابَتْ فِيهِ الْقَوَائِمُ، وَمِنْهُ اشْتُقَّ وَعَثَاءُ السَّقَرِ، يَعْنِي: الْمَشَقَّةُ.

² - الدَّمْثُ: الْمَكَانُ السَّهْلُ وَاللَّيْنُ، وَصَاحِبُهُ دَمِثٌ، وَمِنْهُ دِمَاثَةُ الْخَلْقِ، وَفِي صِفَتِهِ ﷺ "دَمِثٌ لَيْسَ بِالْجَانِي".

³ - الْكَرُّ: الرُّجُوعُ إِلَى الشَّيْءِ، وَالشَّعْثُ: مِنَ التَّفَرُّقِ وَالِانْتِشَارِ، وَفِي وَصْفِ الْمَسَافِرِ يُقْصَدُ بِهِ آثَارُهُ عَلَيْهِ مِنَ الْغَبْرَةِ.

مِنْ ثَمَّ عَادَ "ابْنُ بَكْرٍ" يَنْقُلُ الْفَرَحَا: 295
 أَمْرَابُ يَا مَنْ أَبِي فِي الْفِكْرِ يَنْغَلِقُ
 أَمْرَابُ قَدْ رَحَّبَتْ، لَمْ يَبْقَ مِنْ رَيْثِ
 لَمْ تَرْضَ بَعْدَ الْهُدَى فِي الْغَيِّ مِنْ لَبْثِ
 لَوْ أَنَّ آبَاءَنَا لِلْغَوْثِ لَمْ تُغَثِّ¹
 فِي رَفْضِهَا فُرْصًا مِنْ غَيْرِ مُكْتَرَتْ
 لَنْ تَرْتَقِيَ أُمَّةٌ بِالشَّرِّ تَشْتَعِلُ
 مَعَ الْجَدِيدِ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْحَدَثِ

3-الدَّوْلَةُ الرُّسْتُمِيَّةُ وَانْتِشَارُ الْمَذْهَبِ الْإِبَاضِيِّ بِمَرَابٍ [32]

حَتَّى وَإِنْ طَالَ عَصْرُ الْبَغْيِ وَالْهَرَجِ
 لَمْ يُورِثِ الْمُصْطَفَى غَزْوًا وَلَا هَلَعًا 300
 لَا بُدَّ مِنْ سَاعَةِ الْإِشْرَاقِ وَالْفَرَجِ
 وَإِنَّمَا حَثَّ بِالرِّفْقِ مَعَ الدَّرَجِ²
 مُلْكًا عَضُوضًا أَرَادَ الدِّينَ بِالْعَوَجِ
 بِالسَّيْفِ وَالْعُرْمِ يَقْضِي غَيْرَ مُنْزَعَجِ
 فَانْقَذَتْ مَغْرِبًا مِنْ أَصْعَبِ الْحِجَجِ
 وَقَدْ بَنَتْ دَوْلَةً فِي أَقْوَمِ النُّهْجِ
 فَاسْتَعْبَدَ النَّاسَ فِي فَتْحٍ مِنَ الرُّعْبِ
 حَتَّى انْبَرَتْ ثُلَّةٌ بِالْعِلْمِ وَانْطَلَقَتْ
 ظَلَّتْ عَلَى خُطَّةِ الْإِقْدَامِ لَمْ تَحِدِ

¹ - الغوث: من غَوَّثَ الرجل: قال واغوثاه، والاسم: الغوث والغوث والغوث.

² الدَّرَج: الطريق الذي يكون على مراتب، ومنه الدَّرَجَةُ والدَّرَجَاتُ.

دَامَتْ لِقَرْنٍ وَنَيَّفٍ عَلَى نَسَقٍ 305 مِنْ عِزَّةِ الْحُكْمِ فِي عَدْلِ بِلَا مَرَجٍ¹
 فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ رِجَالِ الْحَقِّ قَدْ صَنَعَتْ
 الدِّينَ نُورًا، وَنَهَجَ الْجُورِ يُطْفِئُهُ
 لَكِنَّهَا اسْتَقْبَلَتْ مَوْتًا عَلَى فُجَاءِهِ
 لِلَّهِ فِي كَوْنِهِ نَهَجٌ مِنَ السُّنَنِ
 نَحْوُ وَرَجُلَانِ أَقْدَامُ الْأَسَى ضَرَبَتْ 310
 فَاسْتَعْظَمُوا أَهْلَهَا وَالْفُضْلَ قَدْ وَجَدُوا
 سَدْرَاتَهُ شَيِّدُوا؛ عَرُوسَةً ظَهَرَتْ
 لَكِنَّهُمْ لَمْ يَدْمُ حَالُ الْهِنَاءِ لَهُمْ
 وَهَكَذَا اسْتَقْبَلَ امْرَأَتُ الْأَلَى لَجَأُوا
 عَامًا فَعَامًا أَتَوْا فِي مَذْهَبٍ جُمِعُوا 315
 قَرْنًا فَقَرْنًا غَدَا صَفًّا بِلَا فُرَجٍ
 مَجْدًا مِنَ الشَّانِ لَمْ يَحْطَ بِمُزْدَوَجٍ
 مَشَكَاتُهُ آلَةُ الْإِقْنَاعِ وَالْحُجَجِ
 حَيْثُ اسْتَحَبَّتْ عَمَى وَالسَّيْرِ فِي عَرَجٍ
 لَمْ يَظْلِمِ الْخَلْقَ يَوْمًا لَا وَلَمْ يَعْرِجْ²
 نَحْوُ أَرِيغٍ وَنَحْوِ كُلِّ مُنْعَرَجٍ
 وَأَذْرَكُوا نَفْحَةً مِنْ بَهْجَةِ الْبَلَجِ³
 فِي خَيْرَةِ الْأَرْضِ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ فَلَجٍ⁴
 إِذْ مَاجَتْ الْأَرْضُ تَشْكُو سِيرَةَ الْهَمَجِ
 مِنْ بَعْدِ أَنْ مَهَّدَ الْبِكْرِيُّ لِلْوَلَجِ⁵
 قَرْنًا فَقَرْنًا غَدَا صَفًّا بِلَا فُرَجٍ

¹ - المرجح: في شأن الحكم الفساد والاختلاط والاضطراب.

² - لم يعج: من فعل: عاج يعوج عوجاً وعياجاً، إذا مال وعطف.

³ - البلج: الفرج، ورجلٌ بلج: كقولك: طلق. وأبلجت السماء: إذا أنازت وأضاءت.

⁴ - الفلج: الماء الجاري من العين ونحوه.

⁵ - البكري: هو أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي، والنسبة إلى أبيه، كما نقول عن عبد الله بن إباض:

إباضي، والولج: الطريق في الرمل، وأيضاً ما يدخل فيه من كهف وغار.

إلى هذا البيت قد يظهر للقارئ أنه يسبق قصة أبي عبد الله في الأبيات السابقة؛ ولكننا أوردناه ضرورةً لبيان

جذورنا المذهبية بعد أن قبلنا مذهب الفرستائي.

الْكُلُّ فِي اسْمِ "الْمَزَايِي" انْطَوَى قَبْلًا
 مِنْ جَرَبَةٍ؛ سَجَلَمَاسَةً وَسَاقِيَةٍ
 مِنْ كُلِّ فَجٍّ أَحَسَّ الظُّلَمَ وَاضْطُّهَدًا
 نَحْنُ الْأُلَى قَدْ أَغْنَيْنَا إِخْوَةَ الْوُطَنِ
 لَمْ نَصْنَعِ الْمَجْدَ إِلَّا فَوْقَ مُرْتَفَعٍ 320
 أَمْزَابُ قَدْ سَجَلُ التَّارِيخِ أَنَّكَ مَنْ
 قَامُوا جَمِيعًا عَلَى سَاقٍ مِنَ الْعَمَلِ
 نَحْنُ الْأُلَى قَدْ حَفَرْنَا الْبُئْرَ فِي الْجَبَلِ
 نَحْنُ الْأُلَى بِالنَّخِيلِ الْأَرْضَ قَدْ زَيْنُوا
 نَحْنُ الْأُلَى جَنَّةَ الصَّحْرَاءِ قَدْ غَرَسُوا
 نَحْنُ الْأُلَى سَطَرُوا نَظْمًا مِنَ السَّيْرِ
 نَحْنُ الْأُلَى شَيَّدُوا حَضَارَةً صَمَدَتْ

يَحْيَا عَلَى نَهْجِنَا مِنْ غَيْرِ مَا حَرَجَ
 مِنْ جَبَلٍ؛ مِنْ نَوَاحِي الْحَرْبِ وَالْوَهْجِ¹
 وَاشْتَمَّ بِأَمْزَابٍ طِيبِ الْعَيْشِ وَالْأَرْجِ²
 بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ، آثَرْنَا عَلَى حَوَجٍ
 مِنْ وَحْدَةٍ؛ لَمْ تَرَ التَّنْغِيصَ فِي الْمَنْجِ 320
 قَرَّبْتَ قَوْمًا عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْمُهْجِ³
 كُلُّ أَتَى شُغْلُهُ فِي ثَوْبٍ مُبْتَهَجٍ
 بِآلَةِ الصَّبْرِ، نَرْجُو الْمَاءَ فِي لَهْجِ⁴
 وَالْمَاءُ مِنْ بَيْنَهَا يَجْرِي مِنَ اللَّجَجِ⁵
 بِالسَّغْيِ وَالْجِدِّ فِي لَوْنٍ مِنَ الْهَزَجِ 325
 فِي فَائِقِ الضَّبْطِ فِي بَدِيعِ مُنْتَهَجٍ
 تَحْيَا قُرُونًا وَلَحَدَ الْمَوْتِ لَمْ تَلِجَ

¹ - الوَهْجُ: اتِّقَادُ النَّارِ وما يَصِلُ مِنْ حَرِّهَا.

² - الْأَرْجُ: نَفْحَةُ الرِّيحِ الطَّيِّبَةِ.

³ - الْمُهْجُ: جَمْعُ مُهْجَةٍ، وَهِيَ الرُّوحُ وَالنَّفْسُ وَدَمُ الْقَلْبِ، تَقُولُ: بَدَّلْتُ لَهُ مُهْجَتِي أَيِ نَفْسِي وَخَالِصَ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ.

⁴ - اللَّهْجُ بِالشَّيْءِ: الْوُلُوعُ بِهِ، وَقَدْ لَهَجَ بِهِ يَلْهَجُ لَهْجًا، إِذَا أُغْرِيَ بِهِ فَتَابَرُ عَلَيْهِ.

⁵ - اللَّجَجُ: جَمْعُ لَجَّةٍ، لَجَّةُ الْمَاءِ، الْمَوْضِعُ الْوَاسِعُ مِنْهُ، وَفِي الْقُرْآنِ ﴿حَسْبَتْهُ لَجَّةٌ﴾ [النمل:44].

مِنْ صَفْوَةِ الْأَصْلِ بِاعْتِدَالِ مَذْهَبِنَا
قَدْ سَجَلَ امْرَأُ فِي التَّارِيخِ أَنَّ لَهُ
بِالصَّبْرِ وَالصِّدْقِ وَالتَّوْفِيقِ فِي دَرَجِ
حَضَارَةً ارْتَفَقَتْ؛ بِالْشَّرِّ لَمْ تَمُجِ
وَلِيُغْرِسِ الْكُلُّ فِي الْأَجْيَالِ مَبْدَأَنَا 330
مِنْ قَبْلِ صُبْحِ يَحْيِهِمْ غَيْرَ مُبْتَهَجِ

4- الْمَلَامُحُ الْعَامَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ [20]

الصِّدْقُ فِي الْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ فِي طَمَحِ
كَمْ خَلَدَ النَّاسُ فِي التَّارِيخِ مِنْ حَدَثِ
وَهَكَذَا قَدْ بَنَى امْرَأُ الْقُرَى سَلَفًا
شَيْئًا فَشَيْئًا حَيَاةَ الْبَدْوِ قَدْ تَرَكُوا
وَحَارَبُوا غَارَةَ الْأَعْدَاءِ وَاکْتَشَفُوا 335
فَسَطَرُوا خُطَّةَ الْبُنْيَانِ وَاخْتَرَعُوا
وَوَحَّدُوا صَفَّهُمْ مِنْ بَعْدِمَا شَهِدُوا
ثُمَّ اسْتَفَادُوا مِنَ الَّذِينَ قَدْ نَزَحُوا
سِرُّ النِّجَاحَاتِ بِالْأَرْبَاحِ وَالْمِنَحِ
لَمْ يَشْهَدُوا مِنْهُ إِلَّا مُسْتَوَى السَّفَحِ
بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ وَالْأَوْضَاعُ لَمْ تَضَحِ
حَتَّى بَنَوْا آيَةَ الْعُمَرَانِ وَالْكَدَحِ¹
طَبِيعَةُ الْأَرْضِ فِي غَيْثٍ وَفِي لَفَحِ²
حِصْنًا يَقِيهِمْ سُيُولَ كُلِّ مُكْتَسَحِ
فِي بَدْيِهِمْ شَارَةَ الْعُدَوَانِ وَالنَّطَحِ
فَنَ الْحَضَارَاتِ مِنْ دَرَسٍ وَمُصْطَلَحِ

¹ - الكدح: عَمَلَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْحَيْثُ وَالشَّرِّ، وَفِي الْقُرْآنِ ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ [الانشقاق:6].

² - اللَّفْحُ هُوَ أَثَرُ الْحَرَارَةِ فِي الْوَجْهِ، وَفِي الْقُرْآنِ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون:104].

وَطَوَّرُوا عَيْشَهُمْ بِالْفَنِّ فِي الْعَمَلِ
وَأَسْتَصْلَحُوا أَرْضَهُمْ، وَالنَّخْلَ قَدْ جَلَبُوا
وَدُرَّةً امْزَابَ فِي الْأَحْدَاثِ حَاضِرَةً
قَدْ أَرَعَبَتْ أَرْضَهَا بِالْفَأْسِ تَحْمِلُهُ
وَأَسْتَعْمَلَتْ فِكْرَهَا فِي النَّسْجِ تُبْدِعُهُ
وَالْعِلْمُ قَامَ بِأَشْيَاخٍ تُنَشِّطُهُ
وَأَسْتَمْسَكُوا بِزِمَامِ الْأَمْرِ وَانْطَلَقُوا
فِي كُلِّ قَصْرِ بَنَوْا قَدْ أَوْقَدُوا قَبَسًا
وَهَكَذَا زَيْنُوا الصَّحْرَاءَ بِالْعَمَلِ
لَنْ يُدْرِكَ الْمَرْءُ طُعْمَ الْمَاءِ يَرْشِفُهُ
لَكِنَّهُمْ -حَالَ كُلِّ النَّاسِ- قَدْ وَهَنُوا

340

345

وَأَبْدَعُوا مَا لِأَهْلِ التَّلِّ لَمْ يُتَحِ
مِنْ كُلِّ نَوْعٍ غَدَا فِي وَصْفٍ مُمْتَدِّحٍ
تَسْعَى نَشَاطًا عَلَى لَوْنٍ مِنَ الْمَرَحِ¹
خَلَّتْ بَعِيدًا جَمَالَ الصِّدْرِ بِالْوُشْجِ²
وَمِثْلُهُ فِي فَضَاءِ الْحُسْنِ لَمْ يُلَحِ
كَانُوا عَلَى حَلَقَةِ الْبُكْرِيِّ بِالسَّجْحِ³
قَادُوا نِظَامَ الْقُرَى بِالنَّصْرِ وَالْفَلَحِ⁴
فِي مَسْجِدٍ فَوْقَهُ يَحْظَى بِمُنْتَدِحٍ⁵
عَاشُوا عَلَى جَنَّةٍ مَعَ مَسَّةِ الرَّشْحِ⁶
إِنْ كَانَ يِنَائِي عَنِ الْأَعْمَالِ فِي الْبَرَحِ⁷
وَأَسْتَقْبَلُوا فَتْرَةً فِي غَايَةِ الشَّبَحِ

¹ - نعني بالدرة المرأة المزايبة.

² - الوُشْج: جمع وشاح، نوع من حلبي النساء.

³ - السَّهْوَة واللَّيْن وحسن الخلق، ومنه قولهم: "مَلَكْتُ فَأَسْجَحُ"، والمراد كانوا على هداه لم يُبدوا استياءً لذهجه.

⁴ - الفلاح والفلاح مصدران بمعنى البقاء في الخير وهما أثر النصر والفوز.

⁵ - مُنْتَدِحٌ: مُتَّسِعٌ أي مسجد واسع.

⁶ - تَنْدِيَةُ الْجَسَدِ مِنَ الْعَرَقِ، وَالرَّشْحُ: اسْمُ ذَلِكَ الْعَرَقِ.

⁷ - الْبَرَحُ: الشِّدَّةُ وَالشَّرُّ وَالْأَدَى وَالْمَشَقَّةُ.

وَاللَّيْلُ إِنْ طَالَ فَلِإِسْفَارٍ قَدْ قُرْبًا 350 وَالثَّوْرُ إِنْ حَلَ لَمْ يُمَحَّ وَلَمْ يُزَحَّ

ثَانِيًا: الْعَهْدُ الْوَسِيطُ

من عهد الشيخ عمي سعيد إلى بداية الاحتلال الفرنسي 1830م

1- الْحَيَاةُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ [29]

بِالْعِلْمِ نَحْيَا حَيَاةَ الْعِزِّ وَالْفَرَحِ
لَمَّا تَرَدَّتْ عُقُولُ الْعِلْمِ وَانْطَفَأَتْ
أُسْتَنْهَضَتْ خَيْرَةُ الْأَعْيَانِ فِي الْبَلَدِ
فَاسْتَنْجَدُوا قَادَةَ الْعِلْمِ بِهَا وَلَقَوْا
إِنَّ الْإِبَاضِيَّةَ الْأَمْجَادَ لِلْأَبَدِ 355
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فِي ضِيقٍ وَمُتَّسَعٍ
اسْتَخْلَصُوا وَدَّهْمُ مَنْ أَفْضَلَ الْبَشَرِ
وَأَنْتَخَبَتْ ثَلَاثَةٌ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
مَا الْجَهْلُ إِلَّا لِبَاسَ الْبُؤْسِ وَالتَّرَحُّ
وَاسْتَقْبَلَ امْرَأْتُ لَيْلِ السُّقْمِ فِي فَدَحٍ¹
كَيْ يَقْصِدُوا جَرْبَةً كَانَتْ عَلَى نَدَحٍ²
سَهْلًا مِنَ الْأَهْلِ فِي يُسْرِ وَمُنْشَرَحٍ
فِي وَحْدَةٍ لَمْ تَمُتْ يَوْمًا وَلَمْ تُزَحَّ
قَدْ نَاصَرُوا بَعْضَهُمْ بِالْحُبِّ وَالْفَرَحِ
مَنْ جَمَعَهُ النَّاسُ فِي بَشَرٍ وَفِي قَرَحٍ
وَحَظُّ عَمِّي سَعِيدَ مَالٍ بِالطَّفَحِ³

¹ - الفدح: إيقال الأمر والحمل، وصاحبه مفدوح، تقول: نزل بهم أمرٌ فادح، أي: فوق تحمليهم.

² - الندح: السعة والفسحة، تقول: إنه لفي ندح من الأمر ومندوحة منه.

³ - الطفح: الامتلاء، تصويرٌ لكفته التي مالت تُرجحه.

فَاسْتَقْبَلَ امْرَأْتُ صُبْحَ النُّورِ مِنْ نَفَرٍ
 عَمِي سَعِيدُ الْفَتَى غَرْدَايَةً قَصْدًا
 فَحَارَبَ الْجَهْلَ وَالْإِفْسَادَ وَالْبِدْعَا
 فِي مَجْلِسِ نَظَمِ الْفُتَيَا وَوَحَّدَهَا
 فِي حَلْقَةٍ حَوْلَ شَيْخِ الْعِلْمِ تَرْتَبُطُ
 وَأَذْرَكُوا نَهْضَةً حِينًا مِنَ الزَّمَنِ
 لَا حَالَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا سَيَنْضَبُطُ
 لِلإِرْتِقَا سُنَنَ لِلإِنْتِكَاسِ سُنَنَ
 آهَ عَلَى حِقْبَةٍ مِنْ أَسْوَأِ الْحَقَبِ
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا شُعَاعُ مَسْجِدٍ بَعْدَا
 أَوْ عَالِمٍ لَمْ يَجِدْ سَمْعًا يُحَاوِرُهُ
 لَكِنْ فَمَا الْحَلُّ مَعَ وَضْعٍ يُحَاصِرُهُ؟

360

365

370

قَدْ وُزِعُوا فِي الْقَرَى بِالسَّهْمِ وَالطَّرَحِ
 نَحْوَ الْعَتِيقِ؛ لِيُحْيِيَ الْعِلْمَ فِي صَدَحٍ¹
 وَخَلَّفَ النَّاسَ فِي سَهْلٍ وَمُتَضَّحٍ
 وَقَرَّبَ الْكُلَّ فِي رَأْيٍ وَمُقْتَرَحٍ
 أَضَحَتْ سِرَاجًا يُنِيرُ النَّاسَ فِي وَضَحٍ
 كَأَنَّهَا لَحْظَةٌ مَرَّتْ عَلَى سَنَحٍ²
 مِنْ غَيْرِ عَزْمٍ مِنَ الْإِنْسَانِ بِالطَّمَحِ
 لَمْ يَنْفَتَحْ غَيْرُهَا لِلنَّاسِ أَوْ يُبَحِ
 صَدَّتْ إِلَى امْرَأَتٍ فِي وَجْهِهِ مِنَ الْكَلَحِ³
 عَنْ وَاقِعِ النَّاسِ فِي زَيْغٍ وَمُقْتَضَحٍ
 قَدْ صَمَّمَ الْوَضْعَ لِلْعُصَيَانِ وَالْجَمَحِ⁴
 لَمْ يَرْتَضِ مِنْهُ نُصْحًا لَا وَلَمْ يُبَحِ

¹ - الصَّدْحُ: من صَدَحَ الرجلُ يَصْدَحُ صَدْحًا وَصُدَاحًا وَهُوَ صَدَّاحٌ وَصُدُوخٌ وَصَيْدَحٌ، أي: رفع صوته.

² - السَّنَح: من الاعتراض: ويقال: سَنَحَ لي الأمرُ، إذا عَرَضَ.

³ - الكَلَح: مصدر كَلَحَ يَكْلَحُ كَلْحًا، إذا تَقَلَّصَتْ شَفَتَاهُ مِنَ الْكَرْبِ، وفي التنزيل ﴿وَهُمْ فِيهَا كَاِلُونٌ﴾

[المؤمنون: 104].

⁴ - الْجَمَحُ: خُرُوجٌ عَنِ السَّيْطَرَةِ، وَمِنْهُ فَرَسٌ جَمُوحٌ وَجَامِحٌ.

لَنْ يُغْنِيَ الْعِلْمُ فِي رَأْسٍ وَفِي كُتُبٍ
حَتَّى أَتَى الْأَفْضَلِيَّ يَبْعَثُ الْأَمَلَا
ثُمَّ تَلَاهُ الثَّمِينِيُّ الَّذِي عَكَفَا
ثُمَّ انْبَرَى الْقُطْبُ شَمْسًا يَمْحَقُ الْعَبْشَا
وَكُلُّهُمْ وَاجَهَ النُّكْرَانَ وَالْعَنْتَا
كَمْ خُطَّةٍ دُبِّرَتْ حَتَّى تُطِيحَ بِهِمْ
يَا رَبِّ فَارْحَمْ شُيُوخًا قَدْ لَقُوا نَصَبَا
كَمْ سَقَّهَ النَّاسُ مِنْ نُصَحٍ وَلَيْسَ لَهُمْ
إِنْ أَشْرَقَ الْعِلْمُ فِي قَوْمٍ فَقَدْ خَسِرَتْ

375

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْوَرَى يَجْرِي عَلَى فَسَحٍ¹
فِي نَهْضَةٍ كَانَ فِيهَا خَيْرٌ مُفْتَحٍ
لِلْكَتُبِ وَالْحَبْرِ وَالْأَقْلَامِ لَمْ يُرَحِ
يُتِمُّ نُورًا وَيُرْسِي الْعِلْمَ فِي رَدَحٍ²
فِي دَعْوَةٍ رَدَّهَا الْأَشْرَارُ بِالْوَقَحِ
قَدْ رَدَّهَا اللَّهُ لَمْ تُفْلِحْ وَلَمْ تُطَحِ
كَيْ يُصْبِحَ الْعِلْمُ فِي سَهْلٍ وَمُنْسَرَحِ
قَصْدُ سَوَى أَنْ يُبِيحُوا سُوءَ مُجْتَرَحِ
عِصَابَةُ الْجَهْلِ فِيهِمْ صَفْقَةُ الشَّطَحِ

¹ - الفَسَحُ: مُبَاعَدَةُ الْخَطْوِ.

² - الْعَبْشُ: ظِلْمَةُ آخِرِ اللَّيْلِ، الرَّدَحُ: الْمَدَّةُ الطَّوِيلَةُ، وَفِيهِ مَعْنَى الْإِنْبِسَاطِ.

2- الحَيَاةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ [22]

- كَمْ دَوَّنَ الْحَبْرُ فِي الْأُورَاقِ وَالنُّسَخِ 380 عُدَّوَانِ جَارٍ لِجَارٍ أَوْ أَخٍ لِأَخٍ؟
الْفَقْرُ وَالْجَهْلُ مَدْعَاةٌ إِلَى النَّكَدِ
لَمْ يَسْلَمْ امْرَأْتُ مَنْ ضَعُفَ مَعَ الزَّمَنِ
قَدْ أَفْسَدُوا بَصْمَةَ الْإِحْسَانِ فِي النُّظْمِ
قَدْ سَوَّدُوا صَفْحَةَ التَّارِيخِ خَلْفَهُمْ
لَوْ يَفْقَهُ النَّاسُ عِزَّ السَّلَامِ لَا تَحْدُوا 385
لَكِنَّهُمْ فَجَرُوا حَرْبًا عَلَى تَفِهِ
شَرْقِيَّ صَفٍّ وَغَرْبِيَّ يُقَابِلُهُ
كَمْ مِنْ دَمٍ كَمْ مِنَ الْأَعْرَاضِ قَدْ هَتَكُوا
حِينَ مَعَ بَعْضِهِمْ حِينَ مَعَ الْعَرَبِ
لَمْ يَحْفَظُوا بَيْنَهُمْ عَهْدًا وَلَا نَسَبًا 390
كُلُّ الَّذِي وَثَّقُوا قَدْ بَاءَ بِالْفَسَخِ

¹ - الزَّمَحُ: من زَمَحَ بَأْنْفِهِ كَمَنَعَ، زَمَحًا وَشَمَحَ: تَكَبَّرَ وَتَاهَ.

² - الْبَرْخُ: النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ.

³ - لَمْ يُرَخَّ: من فعلٍ زَاخٌ يَرِخُ زَرْخًا وَرَيْخَانًا، أَي: جَارٍ وَظَلَمَ.

⁴ - الطَّيْحُ: حِكَايَةُ لِلضَّحْكَ. قَالُوا: طِيخٌ طِيخٌ، أَي: قَهَقَهُوا.

⁵ - لَمْ تَدُخْ: من فعلٍ: دَاخَ الرَّجُلُ يَدُوحُ أَي دَلَّ، وَدَاخَ الْبِلَادَ يَدُوخُهَا: قَهَرَهَا وَاسْتَوْلَى عَلَى أَهْلِهَا.

لَمْ يَرْقُبُوا مَجْلِسَ الْأَعْيَانِ فِي نُظْمٍ
وَهَكَذَا مَغْرِبُ الْأَحْرَارِ قَدْ شَهِدَا
لَوْلَا رِجَالٌ عَلَى الْإِصْلَاحِ قَدْ دَأَبُوا
آهٍ! أَيَا أُمَّةٍ بِأَمْزَابٍ تَنْتَطِحُ
لَنْ يَطْفَرَ الْعَبْدُ بِالْفِرْدَوْسِ وَالْعَبَقِ
حَتَّى وَلَوْ غَابَ سَيْفُ الْقَهْرِ قَدْ نَجِدُ
الْحَقْدَ وَالْعُنْفُ وَالْأَضْغَانَ أَسْمِدَةً
لَا يَعْرِفُ الْمَرْءُ لِلْإِخْوَانِ قَدْرَهُمْ
فِي الْإِحْتِلَالِ الَّذِي قَدْ مَسَّنَا عَبْرُ
أَمْزَابٍ حَيٍّ وَإِنْ شُلَّتْ جَوَانِبُهُ
مَنْ ادَّعَى مَوْتَهُ أَوْ عَجَزَهُ كَذَبَا

قَدْ سَنَّهَا فِي تَقَارِيرٍ وَفِي نُسخٍ
فِي جُلِّهِ قِصَّةَ الْأَشْرَارِ؛ لَمْ يَبُخْ¹
لَخَلَّفُوا صُورَةً أَشَدَّ فِي اللَّطَخِ
مِنْ نَزْعَةِ الْعِرْقِ وَالْأَخْزَابِ لَمْ تَرُخْ²
إِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الْوَسَخِ 395
نَهَجًا لِنَحْيَا عَلَى سِلْمٍ؛ بِلَا رَضَخِ³
لِلْحَرْبِ؛ كَمْ جَدَّدَتْ فِيهَا مِنَ النَّسَخِ؟
حَتَّى يَرَى شَفْرَةَ الْأَعْدَاءِ فِي السَّلَخِ
إِذْ صَارَ كُلُّ يُنَادِي: أَيْنَ؛ أَيْنَ أَخِي؟
بِنُظْمِهِ قَدْ نَجَى مِنْ نَكْسَةِ الشَّيْخِ 400
فِي كُلِّ دَهْرٍ سَيَبْقَى آيَةُ الشَّمَخِ⁴

¹ - لم يُبَخ: من فعل: باخ الرجلُ يَبُخُ، أي: سَكَنَ غَضَبُهُ، وِباخَ الحُرُّ يَبُخُ: إِذَا قَتَرَ.

² لم تُرُخ: من فعل: رَاحَ يَرِيحُ رِيحًا: إِذَا دُلَّ وَانْكَسَرَ. وَالتَّرْيِخُ: ضَعْفُ الشَّيْءِ وَوَهْنُهُ.

³ - الرِّضْخُ: كسر الرأس، وفي الحديث: "فَرَضَخَ رَأْسَ الْيَهُودِيِّ".

⁴ - الشَّمَخُ: اشتقاق من الشيء الشامخ المرتفع، شَمَخَ يَشْمَخُ شَمَخًا فَهُوَ شَامِخٌ، وَقَدْ سَمَّتِ الْعَرَبُ شَمَاحًا، وَشَمَخَا.

3- الْحَيَاةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ [25]

سَافِرٍ إِذَا ضَاقَتِ الْأَرْزَاقُ فِي الْبَلَدِ
لَا تَرْضَ بِالزُّهْدِ فِي الْأَمْوَالِ وَاکْتَسَبِ
عَبْرَ الْقُرُونِ الْعَوِيصَةَ الَّتِي سَبَقَتْ
لَمْ يَكْفِهِمْ مَنْسَجُ الْعِذْرَاءِ فِي الْعَمَلِ 405
حَتَّى غَدَا وَضَعُهُمْ بِاللَّهِ يَطْلُبُهُمْ:
فَوَدَّعُوا صُورَةَ الصَّخْرَاءِ وَاعْتَرَبُوا
عَبْرَ الْفَيَافِي وَفِي قَوَافِلِ الْإِبِلِ
سَارُوا إِلَى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنَ الْوَطَنِ
وَاسْتَقْبَلُوا غُرْبَةً فِي غَايَةِ الْعَنَتِ 410
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْحَبُوا رِيحَانَةَ الْخَلَدِ
وَاسْتَرْزَقُوا مِنْ حَلَالِ الْكَسْبِ وَابْتَدَعُوا
حَتَّى إِذَا حَصَّلُوا كَيْسَ الْإِيَابِ أَتَوْا
وَاتَّعَبَ تُحْصِلَ لَذِيذَ الْعَيْشِ وَالرَّغْدِ
فَضَلَّ يَقِيكَ الرَّدَى فِي سَاعَةِ النَّكَدِ¹
قَدْ أَنْهَكَ امْزَابُ تَحْتَ السَّعْيِ وَالْكَبَدِ
وَأَرْضُهُمْ عَنْ يَسِيرِ الْجُودِ لَمْ تَزِدْ
سِيرُوا عَلَى الْأَرْضِ لِلْأَعْمَالِ وَالصَّفَدِ²
لَمْ تُثْنِهِمْ دَمْعَةُ الْأَحْبَابِ وَالْوَلَدِ
فِي أَحْلَكِ اللَّيْلِ فِي خَوْفٍ وَمُرْتَعَدِ
وَعَمَّرُوا أَيْنَ أَلْفَوْا رَغْوَةَ الزَّيْدِ
لَمْ يَعْرِفُوا رَاحَةَ الْكَسْلَانِ فِي الْوُسْدِ 410
فِي مُدَدٍ قَدْ بَدَتْ مِنْ أَطْوَلِ الْمُدَدِ³
فِي كُلِّ شُغْلٍ يُرِيهِمْ بَسْطَةَ الْمَدَدِ
لِلْأَهْلِ بَعْدَ سِنِينَ الشَّوْقِ وَالْكَمَدِ⁴

¹ - الرَّدَى: الهلاك، وفي التنزيل: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لِتُزَيِّنَ﴾ [الصافات: 56]، والتَّكْدُ: في العيش: قلَّةُ العطاء واشتدادُ الحال.

² - الصَّفَدُ والصَّفْدُ: العطاء، تقول: أصفدته إصفاداً إذا أعطاه.

³ - الخلد: البال والنفس، ونقصد هنا الزوجة التي هي سكنُ الرجل.

⁴ - الكمَدُ: الحزن الشديد لا يُستطاع إفضاؤه، وكذلك: الحزن المكتوم، وأشدُّ الحزن.

كَمْ وَاجَهُوا فِي الطَّرِيقِ الْعَذْرَ وَالسَّلْبَا؟
وَبَعْضُهُمْ لَمْ يَعُدْ إِلَّا عَلَى فَلَسٍ
كُلُّ الشُّرُورِ الَّتِي اسْتَسَاغَهَا الْبَشَرُ
مَا أَفْسَدَ الْمَرْءَ إِلَّا مَنْ يُعَاشِرُهُ
وَهَكَذَا قَرَّرُوا أَنْ يَدْفَعُوا الْعُرْمَا
فِي عُدَّةِ الْحَرْبِ وَالْفُرْسَانِ قَدْ ظَهَرُوا
كَمْ أَطْعَمُوا الْمَوْتَ مَنْ فِي نَفْسِهِ طَمَعٌ؟
وَحِينَمَا ثَبَّتَ الْأَتْرَاكُ حُكْمَهُمْ
فَاسْتَأْنَسُوا السَّيْرَ حَتَّى جَاوَزُوا الْوَطْنَا
فِي ظِلِّهِمْ قَدْ بَنَوْا مَجْدًا وَكَانَ لَهُمْ
وَحَقَّقُوا قُوَّةً فِي الْاِكْتِفَاءِ وَقَدْ
لَيْسَ الْقَوِيُّ قَوِيَّ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ
إِنَّ الْقَوِيَّ الَّذِي بِالْمَالِ يَكْسِبُهُ

415

420

425

كَمْ مِنْ شَهِيدٍ مَضَى فِيهِمْ وَمُفْتَقَدٍ؟
لَمْ يَتْرَكُوا فِيهِ إِلَّا سُتْرَةَ الْجَسَدِ
مِنْ خَلْفِهَا نُكْتَةٌ فِي سُوءِ مُعْتَقَدِ
وَفَوْقَهُ قَدْ يُرَى فِي الشُّومِ؛ بَعْدَ غَدِ
كَيْ يَحْفَظُوا الْمَالَ وَالْأَعْرَاضَ مِنْ إِدَدٍ¹
تِجَارَةٌ هِيَ أَمْ سَيْرٌ إِلَى أَحَدٍ؟!
فَمَرَّغُوهُ الثَّرَى وَالسَّيْفُ لَمْ يَمِدْ²
قَدْ بَادَرُوا يَعْقِدُونَ أَوْثَقَ الْعَقْدِ
وَيَمَّمُوا تُونُسَ وَمِصْرَ فِي عَدَدِ
مِنْ خَاصَّةِ الشُّغْلِ مَا لَمْ يَبْقَ فِي أَحَدِ
كَانُوا لَدَى الضَّرِّ نِعَمَ الْعَوْنِ وَالسَّنَدِ
مِنْ طَلْقَةِ الْبُعْدِ كَانَتْ مَوْتَةُ الْأَسَدِ
يَرْقَى حَبِيرًا إِلَى التَّخْطِيطِ وَالْعُدَدِ

¹ - الإِدَدُ وَالْأَدَدُ: جَمْعُ إِدَّةٍ، وَهِيَ الْفَطْيْعُ مِنَ الدَّوَاهِي وَالْأُمُورِ.

² - لم يمد: من الميّد: مصدر ماد يميد ميّداً، إذا تمايل واضطرب، ومنه سُميت "المائدة".

4- الْحَيَاةُ السِّيَاسِيَّةُ وَالِدِّفَاعِيَّةُ [36]

فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ لَا فِي حَضْرَةِ الْخُرْدِ
لَمْ يَعْرِفِ امْزَابُ فِي التَّارِيخِ مِنْ تَبَعٍ
لَمْ يَرْضَ فِي نَظْمِهِ مَا دَامَ فِي نَفْسٍ
لَا يُحْسِنُ الصَّمْتَ فِي التَّهْدِيدِ أَوْ يَقِفُ 430
تَحْتَ النِّظَامِ الْعَشَائِرِيِّ سُلْطَتُهُ
حِينَ انْبَرَتْ سُلْطَةُ الْأَتْرَاكِ ارْتَبَطَا
فِي سَاعَةِ السِّلْمِ لَمْ يُرْغَمَ، وَقَدْ سَبَقَا
فِي كُلِّ عَامٍ لَهُ غُرْمٌ يُقَدِّمُهُ
يَبْقَى بِهِ امْزَابُ مَحْمِيًّا لِمَا مَلَكَ 435
شُؤُونُهُ حُرَّةٌ مِنْ غَيْرِ مُعْتَرِضٍ
وَهَكَذَا امْزَابُ قَدْ وَقَى الَّذِي وَعَدَا
وَقَائِعُ خُلِدَتْ تَحْكِي لَنَا عَجَبًا
يَا حَمْلَةً ضِدَّ إِسْبَانٍ بِجَرَبَتِنَا

تَحْكِي الرِّجَالَاتُ حَجَمَ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ¹
يُمْلِي عَلَيْهِ نِظَامًا وَهُوَ لَمْ يُرِدِ
سُوءَ الْمَسَاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَالْأَبَدِ
مِنْ غَيْرِ رَدٍّ وَتَشْنِيعٍ وَمُنْتَقَدِ 430
فِي حِنَكَةٍ سَبَّهَا الْأَعْدَاءُ بِالْحَسَدِ
بِهَا ارْتِبَاطًا لِحَدِّ الْإِسْمِ؛ لَمْ يَزِدِ
كُلَّ الْجُنُوبِ وَجَاءَ الْحُكْمُ فِي رَشَدِ
وَالْغُرْمُ فِي الْحَقِّ لَمْ يُحَسَبْ مِنَ الْفَنَدِ²
عَبْرَ الشَّمَالِ، وَرُغِبَ الطَّرْقُ لَمْ يَجِدِ 435
وَالْحَرْبُ إِنْ أَبْرَقَتْ تَغْيِيهِ بِالْعَصَدِ
لَمْ يَعْرِفِ الْحُرُّ خُلْفَ الْوَعْدِ إِنْ يَعِدِ
فِي قِلَّةٍ غَلَبَتْ بِالصَّبْرِ وَالصَّمَدِ³
قَدْ كَانَ فِيهَا ابْنُ مُوسَى ضِمْنِ مُحْتَشَدِ

¹ - الحُرْدُ: جمعُ الحُرَيْدَةِ وَهِيَ الْحَيَّةُ مِنَ النَّسَاءِ، وَكُلُّ بَكْرٍ لَمْ تُمَسَّ، وَالْجَلْدُ: -بفتح الجيم- التَّحْمِلُ.

² - الْفَنَدُ: الْخَطَأُ وَضَعْفُ الرَّأْيِ فِي الْأُمُورِ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾ [يوسف: 94].

³ - الصَّمَدُ: الْقَصْدُ، وَمِنْهُ اسْمُ اللَّهِ "الصَّمَد" لِأَنَّهُ يُقَصَّدُ، وَنَعْنِي غَلَبُوا بِصَبْرِهِمْ وَمُقَصِّدِهِمُ الصَّحِيحَ.

لَبَّى نِدَاءَ جِهَادِ الْحَقِّ وَانْطَلَقَا
فِي هَبَّةٍ حَطَّمَتْ سَدَّ الْعَدُوِّ فَلَمْ
وَسَجَلَ التَّصَرُّ فِي شَعْرِ، وَقَدْ عُرِفَا
مَا أَشْرَفَ السَّعْيَ لِلْإِخْوَانِ فِي الْعَوْتِ
يَا وَقَعَةَ (كُدْيَةِ الصَّابُونَ) يَوْمَ قَضَتْ
سَبْعُونَ لِلْمَوْتِ أَهْدَوْا عِرَّةَ الْعُمَرِ
فَأَشْعَلُوا النَّارَ بَغْيًا فِي مُعَسْكَرِهِمْ
وَمَزَقُوا صَفَّهُمْ بِالْمَوْتِ يَلْحَقُهُمْ
وَاسْتُشْهِدَتْ فِرْقَةُ الْأَبْطَالِ وَاتَّخَذَتْ
الْمَوْتُ لَفْظٌ وَكُلُّ النَّاسِ تُحْسِنُهُ
يَا يَوْمَ (بُرْجِ بُولَيْلَةَ) الَّذِي شَهِدَا
تَحْتَ قِنَاعِ النِّسَاءِ الْحَرْبَ قَدْ دَخَلُوا
تَسَلَّلُوا الْحِصْنَ حَتَّى فَجَّرُوا صَحْبًا
وَهَكَذَا اسْتُشْهِدَ الثُّوَارُ كُلُّهُمْ
وَوَرَّثُوا لِلْمِرَاثِيِّينَ بَعْدَهُمْ

440

مَعَ فِرْقَةٍ لَمْ تَخَفْ مَوْتًا وَلَمْ تَكْدِ
يَقْدِرُ عَلَى قِلَّةٍ فِي وَحْدَةِ الْعَدَدِ
فِي سَاعَةِ الْحَرْبِ دَوْمًا خَيْرَ مُعْتَمِدِ
فِي لُحْمَةِ الصَّفِّ كَيْدُ الشَّرِّ لَمْ يَسُدِ
عَلَى الْغَزَاةِ مِنَ الْإِسْبَانِ بِالْحُرْدِ¹
قَدْ سَيَّرُوا النَّعْشَ بِالْإِيهَامِ وَالرَّصَدِ
لَا شَيْءَ إِلَّا وَبَاتَ تَحْتَ مُتَّقِدِ
لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سِوَى الْمَعْدُودِ بِالْأَحَدِ
مِنْ مَوْطِنِ الْحَرْبِ رَوْضًا ضَحْوَةً الْأَحَدِ
لَكِنْ عَلَى الْأَرْضِ يُبْلَى كُلُّ مُجْتَهِدِ
إِسْبَانٍ فِيهِ الرَّدَى مِنْ كَرَّةِ الْأُسْدِ
عَدُوَّهُمْ ظَنَّنَهُنَّ طَالِبَاتُ يَدِ
وَسَطَ سِلَاحِ بَغَيْرِ الْمَوْتِ لَمْ يَجِدِ
وَحَرَّرُوا الْأَرْضَ مِنْ تَسَلُّطِ الْبُعْدِ
فَضْلًا، أَشْرْنَا إِلَيْهِ الْآنَ فَلْتَعُدِ

445

450

¹ - الْحُرْدُ وَالْحُرْدُ لُغَتَانِ، يُقَالُ: حَرَدَ فَهُوَ حَرْدٌ إِذَا اغْتَاطَ فَتَحَرَّشَ بِالَّذِي غَاظَهُ وَهَمَّ بِهِ فَهُوَ حَارِدٌ.

455 كَذَا أَمِينٌ عَلَى الْعَرْشِ يُمَثِّلُهُمْ
 عَنِ شَأْنِهِمْ لَمْ يَنْمِ يَوْمًا وَلَمْ يَحِدْ
 أَيْنَ رِجَالُ الصُّمُودِ الْيَوْمَ؟! قَدْ ذَهَبُوا
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا خِنَاثُ اللَّيْنِ وَالْغَيْدِ¹
 يَا مَشْهَدًا عَنْ فَرْنَسَا تَضْرِبُ الْوُطْنَا
 وَسُلْطَةُ التُّرْكِ تَسْتَعِثُ فِي مِيدِ²
 فَأَرْسَلَ امْرَأَبُ مِنْ أَبْنَائِهِ النُّجَبِ
 أَلْفَا وَزَادَتْ لِيَحْمِيَ غُرَّةَ الْبَلَدِ
 فَأَرْعَبُوا الْحَرْبَ وَالْأَعْدَاءَ وَاقْتَحَمُوا
 لَكِنْ مَعَ الْمَوْتِ جَيْشُ الطِّبِّ لَمْ يُفِدْ
 حَتَّى انْتَهَتْ بِاخْتِلَالِ حَرْبِ الْبَلَدَا 460
 لَنْ يَخْسِرَ الْحَرْبَ قَوْمٌ بَيْنَهُمْ عُقْدُ
 وَقَتْلَ النَّاسِ يَنْوِي الْعَزْمَ فِي لَبَدِ³
 مَا اسْتُعِمِرَتْ أُمَّةٌ إِلَّا إِذَا انْتَحَرَتْ
 قَامَتْ عَلَى الدِّينِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْعَدَدِ
 وَأَهْدَرَتْ وَزْنَهَا فِي الْعِلْمِ وَالرَّشَدِ

5- الْمَلَامِحُ الْعَامَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ [40]

أَمْرَابُ بُورِكْتَ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ
 فِي قَلْبِ وَإِدِيكَ كَمْ قَدْ قَرَّ مِنْ خَلْدِ؟
 قَدْ كُنْتَ سَهْلًا وَكُلَّ النَّاسِ تَجْمَعُهُمْ
 غُرْبًا يَهُودًا أَمَازِغًا عَلَى قِدَدِ⁴

¹ - خِنَاثٌ: جمعُ خُنْثَى مثلُ أنثَى إِنَاثٍ، وَالْغَيْدُ: النُّعُومَةُ. يُقَالُ: امْرَأَةٌ غَيْدَاءٌ وَغَادَةٌ أَيْضًا، أَيْ نَاعِمَةٌ.

² - الْمِيدُ: مِنْهُ فَعْلٌ مَاذَ يَمِيدُ، إِذَا تَحَوَّكَ وَاضْطَرَبَ وَزَاغَ.

³ - اللَّبْدُ: مَنْ لَبَدَ بِالْمَكَانِ يَلْبُدُ لِبُودًا، وَلَبَدَ لَبَدًا وَأَلْبَدَ: أَقَامَ بِهِ وَلَزِقَ.

⁴ - الْقِدْدُ: جَمْعُ قِدَّةٍ، الْفِرْقَةُ مِنَ النَّاسِ، وَصَارَ الْقَوْمُ قِدْدًا أَيْ: تَفَرَّقَتْ حَالَتُهُمْ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾

كَأَنَّكَ يَتْرَبُ الْمُخْتَارِ يَصْنَعُهَا
 بَعْدَ الْفَرَى الْخُمْسِ سَارَتْ ثُلَّةٌ قَصَدَتْ
 فَعَمَّرَتْ أَرْضَهَا وَالْعَيْشُ طَابَ لَهَا
 فَكَشَّرَ الْحَقْدُ عَنْ أَنْيَابِهِ وَزَارَ
 عَوَائِلَ هَرَبَتْ قَسْرًا وَقَدْ تَرَكَتْ
 مِنْ ثَمَّ قَامَتْ قَرَارَةٌ وَتَتَبَعُهَا
 لَنْ يَتْرَكَ اللَّهُ أَهْلَ الْحَقِّ مَضِيعَةً
 الظُّلْمِ نَارٌ يَقْرُ الْعَيْنَ مَبْدُوهَا
 وَهَكَذَا وَسَّعَتْ كُلُّ الْفَرَى تَبَعًا
 وَامْتَدَّ فِي أَرْضِنَا سَهْلٌ مِنَ الذَّهَبِ
 يَهُودُ جَاءُوا مِنَ الصَّخْرَاءِ؛ مِنْ أَفْقٍ
 فِي كُلِّ فَنٍّ أَتَوْا قَدْ حَقَّقُوا لَقَبًا
 لَنْ يَحْصُدَ الْمَرْءُ إِلَّا قَدْرَ مَا زَرَعَا

465

470

475

عُشًّا مِنَ الْوُدِّ لَمْ يَسْحَطْ عَلَى أَحَدٍ
 تَرْجُو اتِّسَاعًا إِلَى الْأَغْوَاطِ لِلرِّفْدِ¹
 لَكِنَّ عَيْنَ الْحَسُودِ الْخَيْرَ لَمْ تُرِدْ
 حَتَّى طَغَى الشَّرُّ يُقْصِي الْغَيْرَ بِاللَّدَدِ²
 أَرْزَاقَهَا تَحْتَ وَقَعِ النَّهْبِ وَالزَّرْدِ³
 رِيَّانٌ، فِي قِصَّةٍ مَوْثُوقَةٍ السَّيْنِدِ
 مِنْ غَيْرِ نَصْرِ وَإِخْلَافٍ بِلَا عَدَدٍ
 ثُمَّ تَهِيحُ بِلَا سِلْمٍ وَلَا بَرْدٍ
 أَسْوَارُهَا زُحْزِحَتْ مَعَ جِدَّةِ الْعَهْدِ⁴
 يُغْرِي النُّفُوسَ وَكَمْ قَدْ جَرَّ مِنْ جُدْدٍ؟
 فِي امْزَابٍ قَدْ شَيَّدُوا مَجْدًا عَلَى كَبَدٍ
 فِي شُرْفَةِ الْعِزِّ وَالْأَمْوَالِ وَالْوَلَدِ
 إِنَّ شِئْتَ تَرْقَى إِلَى الْعُلَيَاءِ فَاجْتَهِدِ

¹ - الرِّفْدُ: العطاء والمُعونة، وارتَقَدَ الْمَالُ: اكْتَسَبَهُ.

² - اللَّدَدُ: شِدَّةُ الْخُصُومَةِ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾.

³ - وَالزَّرْدُ: الْإِبْتِلَاعُ؛ يُقَالُ: إِذَا دَرَدَ الطَّعَامُ إِذَا ابْتَلَعَهُ، فَهُوَ تَصْوِيرٌ لَطَبِيعَةِ اسْتِبْلَاثِهِمْ عَلَى أَرْزَاقِهِمْ.

⁴ - جِدَّةٌ: مِنْ مَعْنَى جَدِيدٍ أَيْ الْعُهُودِ الْجَدِيدَةِ، كَمَا يُقَالُ: قَلِيلٌ وَقَلَّةٌ.

إِنَّ الْيَهُودَ لَشَرُّ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
بِالَّتِيهِ عَاشُوا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ وَلَمْ
تُمْ الْمَذَائِيحُ مِنْ حِيرَانَا الْعَرَبِ
قَدْ ضَيَّفُوا فِي رَحَابِ الدَّارِ لَمْ يَجِدُوا
وَمِنْ بَنِي امْرَأَبَ مِنْ مَلِيكَةٍ قَصَدَتْ
قَدْ وَثَّقُوا فِي عُرَى الْإِسْلَامِ أَنْسَجَةً
لَا تَسْمَعَنَّ إِلَى الْمَغْرُورِ يَنْصَحُكَ
لَنْ يَسْكُنَ الْعَزْمُ فِي الشَّيْطَانِ لِلْأَبَدِ
كَمْ ضَيَّعَ النَّاسُ مِنْ جُهْدٍ وَمِنْ شَرَفٍ
إِسْأَلَ عَفَافًا وَلَا تَرْجُو مُنَازَلَةً
وَأَنَّ أَبَى الشَّرِّ إِلَّا أَنْ يَرَاكَ فَقُمْ
قَدْ غَيَّرَ اللَّهُ مَجْرَى الْعَيْشِ وَابْتَدَأَتْ
آهٍ؛ أَلَمْ يَجْمَعْ الْمُخْتَارُ مُنْتَصِرًا
إِنْ أَضَحَّتِ الْوَحْدَةُ مَسْلُوبَةَ الْأَمَلِ
فَكَيْفَ لِلْغَرْبِ أَنْ يَبْنِيَ أَوَاصِرَهَا

480

485

490

بِالْمَكْرِ وَالسُّوءِ وَالْأَحْقَادِ وَالْحَسَدِ
تَقَوُّ لَهُمْ شَوْكَةٌ إِلَّا عَلَى سَنَدِ
كَذَاكَ قُلْ عَنْ بَنِي مَرْزُوقٍ، لَا تَكْدِ!
غَيْرَ السَّلَامِ وَغَيْرَ الْخَيْرِ وَالرَّغْدِ
بَعْضُ الْعَوَائِلِ مَتْلِيلِي لِمُنْعَقِدِ
أَكْرِمَ بِهَا لَوْ بَقَتْ بِالطُّولِ وَالْأَمَدِ
إِنَّا جَمِيعًا عَلَى الْإِسْلَامِ فَاعْتَقِدِ
حَتَّى يَرَى النَّاسُ فِي حَرْبٍ وَمُتَّقِدِ
فِي سَاحَةِ الثَّأْرِ وَالْعُدْوَانِ وَالرَّعْدِ
عَنْ مَعْشَرِ الشَّرِّ وَالْغَوْغَاءِ فَابْتَعِدِ
مَعَ زُمْرَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ فَاتَّحِدِ
مَعَ بَعْضِهِمْ حِقْبَةً لِلْحَقِّ وَالضَّمْدِ¹
أَوْسًا مَعَ خَزَرَجٍ مِنْ بَعْدِ مُبْتَعِدِ
أَوْ كَوْنُنَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ لَمْ يَسُدِ
مِنْ غَيْرِ دِينٍ وَأَحْكَامٍ وَمُسْتَنَدٍ؟!

¹ - الضَّمْدُ الْعَيْظُ، وَضَمْدٌ عَلَيْهِ أَيِ اغْتَاظُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: لَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمْدٍ.

الْعِلْمُ وَالْعَقْلُ وَالْأَخْلَاقُ أَسْلِحَةٌ
لَنْ يَبْنِيَ الدِّينُ فِي الْإِخْوَانِ مَرْحَمَةً
أَمْزَابُ مَنْ جَهَّزُوا لِلْحَرْبِ عُدَّتْهَا
يَا يَوْمَ دُكَّتْ بَنِي جَلَابَ بِالنِّقَمِ
فَحَقَّقَ أَمْزَابُ نَصْرًا بَعْدَ مَلْحَمَةٍ
كَذَاكَ قَدْ طَوَّرُوا فِي السَّيْلِ أَنْظِمَةً
كَمْ نَقَّبُوا عَنْ مِيَاهِ الشُّرْبِ وَاجْتَهَدُوا
أَمْزَابُ سِرٍّ مِنَ الْأَسْرَارِ قَدْ بَقِيَا
مَنْ شَاءَ أَنْ يَعْرِفَ الْأَخْبَارَ فَلْيَصِلْ
لَا تَخْتَرَنْ بَعْدَ شَمِّ الْحَقِّ مَشَامَةً

495

500

فِي ظِلِّهَا خُطَّةُ الشَّيْطَانِ لَمْ تَسُدِ
إِلَّا عَلَى أُسُسٍ فِي الْحَقِّ لَمْ تَحِدِ
لَبُّوا وَرَجُلَانِ تَرْجُو الْغَوْثَ بِالْمَدَدِ
لَمَّا اسْتَبَاحُوا الْقُرَى بِالنَّهْبِ وَالرَّصَدِ
قَدْ خُلِدَتْ فِي لِسَانِ الشَّاعِرِ الْأَسَدِ¹
كَيْ يَرْشُقُوا الْمَاءَ فِي وَجْدٍ وَفِي ثَمَدِ²
فِي كُلِّ شَبْرٍ لَهُمْ بَشْرٌ عَلَى الثَّادِ³
فِي لَوْحَةِ الدَّهْرِ مَحْفُوظًا إِلَى الْأَبَدِ
لَمْ يَنْفَعِ الظَّنُّ فِي شَيْءٍ وَلَمْ يُفِدِ
لَمْ يُوَلِدِ الْحَقْدُ مِنْ خَيْرٍ وَلَمْ يَلِدِ

¹ - تُراجع قصته وقصيدته مفصلةً في: دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً، لحمد عيسى التوري.

² - الثَّمَدُ: الماء القليل يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف.

³ - الثَّادُ: الثَّرَابُ اللين والتُّدَى والبلل.

ثانيًا: العهد القريب

من بداية الاحتلال الفرنسي إلى ما بعد الاستقلال

1- الصُورة الحربيَّة والدِّفاعيَّة [51]

الحَرْبُ ضَرَبَ مِنَ الْجُنُونِ فِي الْبَشَرِ
لَمْ يَطْرُقِ النَّاسُ حَرْبًا تَحْتَ مُرْتَغَبٍ
لَمْ تَلَقَ فِينَا فَرَنْسَا الْبَحْرَ مُنْفَتِحًا 505
لَا تَرْحِمُ النَّارُ غُصْنًا أَحْضَرَ الْوَرِقِ
حَقِّي وَلَوْ شُلَّ جِسْمُ الْعِزِّ فِي الْوَطَنِ
النَّصْرُ سَيْفٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ يُنْخِنُهَا
قَرْنٌ خَلَا ثُمَّ أَعْوَامٌ تُتَابِعُهُ
سَلِ ابْنَ زَعْمُونَ وَالْمُقْرَانِي الْبَطْلَا 510
سَلِ الشَّمَالَ سَلِ الْجَنُوبَ عَنْ كَثْبِ
تُنْبُوكَ أَخْبَارُ صِدْقٍ أَنَّنَا نَفَرُ
مَنْ كَانَ جَنْبَ الْأَمِيرِ الْحَزْمِ يَدْعُمُهُ؟
مَنْ كَانَ بِالطَّبِّ فِي صَمْتٍ يُعَالِجُهُ؟
حَسْبِي إِذَا أَغْفَلَ الْكُتَّابُ مَفْخَرَنَا 515
رَبِّ عَلِيمٍ بِمَا قَدْ كَانَ فِي الْبَشَرِ

¹ - أي كان أُميئته العام وكاتبه، راجع كتابنا: تاريخ بني مزاب؛ ط1؛ ص120.

بِئْسَ الَّذِي يَنْشُدُ الشُّكْرَانَ فِي عَجَلٍ
 كَمْ مَوْقِفٍ فِي وَعَى النَّبِرَانِ قَدْ طُمِسَا!
 سِلَاحُنَا الْعِلْمُ وَالْمِيدَانُ وَالْعَدَدُ
 وَفِي قَسَنَاطِينَةٍ نَصْرٌ لَنَا ارْتَفَعَتْ
 بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ فِي حُبٍّ وَفِي كَرِهٍ
 فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالصَّحْرَاءِ وَالْوَسْطِ
 قَدْ كَانَ حَظٌّ لَنَا فِي التَّصْرِ نَصْنَعُهُ
 الْقُطْبُ بِالْعِلْمِ قَدْ أَرَسَى قَوَاعِدَنَا
 يَا يَوْمَ جَاءَتْ إِلَى الْأَغْوَاطِ فِرْقَتُنَا
 فُصِّ لَنَا مَوْقِفَ الْإِصْرَارِ وَالْجَلَدِ
 قَدْ قَالَهَا الْقُطْبُ بِالْإِعْلَانِ وَالثَّقَةِ
 حَتَّى وَلَوْ كُلَّ يَوْمٍ فَوْقَ أَضْلَعِنَا
 لِلْحَرْبِ حُكْمٌ وَحَالُ النَّاسِ تَخْتَلِفُ
 الْحَقُّ بِالْحِصْنِ وَالتَّرْحَابِ يَجْمَعُهُمْ
 تَلْمِيزُهُ الشَّهْمُ كَالْفَارُوقِ تَعْرِفُهُ

لَمْ يَلْقَ فِي الْحَشْرِ إِلَّا حَنْظَلَ الثَّمَرِ
 أَقْدَامُنَا لَمْ تَزَلْ تَحْمِيهِ بِالْأَثَرِ
 كَالْأُسْدِ نَمْشِي بِلَا خَوْفٍ وَلَا عَثْرِ
 أَصْوَاتُهُ فِي أَعَالِي الصَّخْرِ وَالشَّجَرِ
 فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لَمْ نَذِرْ
 فِي الدُّورِ وَالطُّرُقِ فِي تَلٍّ وَفِي غَوْرٍ¹
 وَالْحَقُّ مِنْ شَأْنِهِ يَخْفَى عَنِ الْبَصَرِ
 لَمْ يَرْضَ لِلنَّاسِ حَوْلَ الْحَرْبِ مِنْ نَظَرٍ
 حِمَايَةً تَرْتَجِي مِنْ شَرِّ مُنْتَظَرٍ
 بِالْهَجْرِ فِي اللَّهِ مَعَ مَوْجٍ مِنَ الصَّجَرِ
 مَقُولَةً سَجَلَتْ بِالْثُّورِ فِي الْأَثَرِ
 نَنْعَى ثَمَانِينَ لَا نَرْضَى بِمُحْتَقَرٍ
 فِيهِ عَنِ السَّلَامِ وَالْأَمَانِ فَاعْتَبِرْ
 مِنْ بَعْدِ جُهْدٍ وَإِخْلَاصٍ بِلَا قَتَرٍ
 صِنْدِيدُهُ مُوقِدُ الْمِيدَانِ بِالسُّعْرِ²

¹ - الْعَوْرُ : مَا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ.

² - نَقَصَدَ بِهِ الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ حُمُو بَكْلِي (ت 1922) رَاجِعَ كِتَابِنَا تَارِيخَ بَنِي مِزَابٍ، ط 1، ص 122.

فِي كُلِّ حَيٍّ لَهُ جُنْدٌ تُؤَاوِرُهُ
ذَاقَتْ فَرْنَسَا بِنَا نَارَ الْجَحِيمِ وَلَمْ
لَمَّا حَمَتْ ظَهْرَنَا وَاسْتَأْمَنْتَ وَجَدَا
كَمْ أَرْعَبُوا مِنْ هُجُومٍ جَاءَ ضِدَّهُمْ!
كَمْ أَرْكَسُوا مِنْ زَعِيمٍ بَاتَ يَرْصُدُهُمْ!
اسْتَشْهِدُوا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْوَطَنِ
بِالنَّارِ وَالسَّوْطِ وَالْأَعْمَالِ فِي عَنَتِ
لَيْسَ لَهُمْ أَيْ ذَنْبٍ غَيْرَ رَفْعِهِمْ
فِي عُزُورَةِ الدِّينِ قَدْ اسْتَمْسَكُوا وَأَبَوْا
ضِدَّ الْفَرَنْسِيِّسِ قَدْ أَحْيَاوْا مُقَاتِلَةً
قَدْ أَرْعَدَتْ أُمُّ سُلَيْمَانَ! فَارْتَعَدَتْ
حَتَّى إِذَا أُعْلِنَ التَّجْنِيدُ يُجْبِرُهُمْ
رَدُّوهُ لِلْقَهْقَرَى وَالنَّارِ تَتْبَعُهُ
وَهَكَذَا أَشْرَقَ الْإِسْلَامُ مُبْتَهَجًا
أَنْصَارُ بَيُوضَ عَنْهُمْ فَجَرُّوا حَدًّا

فِي حِنَكَةٍ أَحْكُمُوا التَّخْطِيطَ فِي الثَّغْرِ
تَدْرِ اللَّدُودَ الَّذِي أَرْدَاهَا فِي الْخَطَرِ
أَبْطَلْنَا فُسْحَةً لِلْكَرِّ وَالظَّفَرِ
فِي وَحْدَةٍ لَمْ تَرَ لَوْنًا مِنَ الْكَدْرِ
مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ يَأْتِي أَبْشَعُ الضَّرْرِ 535
وَالسَّجْنِ قَدْ خَيَّرُوا فِي حَالِ مُعْتَصِرِ
قَدْ غُذِّبُوا فِي قَبِيحِ الْوَصْفِ وَالصُّورِ
عَقِيرَةَ الْحُبِّ لِللسَّانِ وَالْمَدْرِ¹
أَنْ تَنْمَحِيَ سِيرَةً مِنْ أَعْطَرَ السَّيْرِ
دَامَتْ عُقُودًا لِتَحْكِي أَعْجَبَ الْعَبْرِ 540
مِنْهَا فَرْنَسَا تُدِيرُ الْأَمْرَ بِالْحَذَرِ
أَنْ يَدْعَمُوا الشَّرْكَ فِي التَّقْتِيلِ وَالْبَطْرِ
تَمَلَّصُوا مِنْهُ بِالْإِعْرَاضِ وَالصَّعْرِ²
فِي حِقْبَةٍ مِنْ رِجَالِ الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ
يُخَيِّنُونَ جَيْلًا مِنَ الْأَبْطَالِ بِالسُّورِ 545

¹ - الْمَدْرُ أَصْلُهُ الطَّيْنُ عَلَى الْأَرْضِ؛ وَاسْتَعْمَلَ جَمْعًا لِلْمَدْرَةِ أَيْ الْقَرْيَةِ؛ وَنَقَصْدُ حُبِّهِمْ لِلْغَنِيِّمْ وَأَرْضِهِمْ.

² - الصَّعْرُ: الْمِيلُ فِي الْحَدِّ خَاصَّةً. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: 18].

إِسْتَفْتَحُوا صَفْحَةً مِنْ ثَوْرَةِ الْقَلَمِ
مَا السَّلْبُ سَلْبُ الْأَرَاضِي فِي حُصُونِهَا
فِي عِزَّةِ الْعُمَرِ بَعْدَ الْقُطْبِ قَدْ بَرَزَا
بَيُوضُ يَا قَائِدًا لِمَزَابٍ لَمْ يَنْمِ
عَبَرَ الْفَرَى السَّبْعَ قَدْ سَارَتْ أَوَامِرُهُ
حَتَّى إِذَا لَاحَ فَجَرُ النَّصْرِ فِي أَفْقِ
هَيْهَاتَ لَمْ تَحْظَ بِالْإِذْعَانِ وَانْدَهَشَتْ
الْقَهْرُ مَهْمَا تَكُنْ فِي النَّاسِ مُدَّتُهُ

550

عَبَرَ الْجُنُوبِ الَّذِي قَدْ ظَلَّ فِي خَدَرٍ¹
وَإِنَّمَا سَلْبُ مَا فِي الْعَقْلِ مِنْ دُرِّ
وَأَنْقَذَ رَايَةَ الْجِهَادِ بِالْبَهْرِ²
فِي شَأْنِهِ ظَلَّ يَسْعَى طِيلَةَ الْعُمَرِ
فِي التَّلِّ كَانَتْ لَهُ الْأَتْبَاعُ بِالْكَثْرِ
صَاحَتْ فَرْنَسًا بِصَوْتِ الرُّعْبِ وَالنُّذُرِ
مِنْ ثَوْرَةِ نُظِّمَتْ فِي خَيْرِ مُسْتَتَرٍ
فِي عَزْمِهِمْ سَوْفَ يَلْقَى مَوْتَةَ الدُّعْرِ

حَوْلُ الثَّوْرَةِ التَّخْرِيرِيَّةِ [34]

سَبْعَ عِجَافٍ أَتَتْ لِلشَّعْبِ بِالْقَدَرِ
يَا ثَوْرَةَ الْعِزِّ وَالْأَمْجَادِ وَالْخُطَطِ
مِنْ أَجْلِ حُرِّيَّةٍ تَسْرِي جَزَائِرَنَا
قَدْ كُنْتَ فَخْرًا لَنَا فِي سَاحَةِ الْعَرَبِ

555

مَلِئُونَ نَفْسٍ وَنَصَفَ قِيمَهُ الظَّفَرِ
تَبَتَّاعُ نَصْرًا لَنَا فِي صَفْقَةِ الْبَشَرِ
خُلِدَتْ يَا جَبْهَةَ التَّخْرِيرِ فِي الْأَثَرِ
كَمْ مَرَّ فَيْكٍ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْعِبَرِ؟

¹ - الخِذْر السَّتْرُ، ومنه سَمَّيتِ المَخْدَرَاتِ لِأَنَّهَا تَحْجُبُ الْعَقْلَ.

² - البَهْرُ: الغَلْبَةُ؛ يُقَالُ: بَهَرَهُ أَيِ غَلَبَهُ بِجَهْدِهِ.

الْحَرْبُ مَالٌ وَجَيْشٌ ثُمَّ مَلْحَمَةٌ
وَلِلْمِزَابِيِّ فِي كُلِّ مُشَارَكَةٍ
فِي قَلْبٍ مَتَجَرِّهِ فِي السِّرِّ قَدْ هَرَعَا
أَكْرِمَ بِهِمْ مِنْ رِجَالٍ دُسَّ قَدْرُهُمْ
لَمْ يَتْرَكُوا جَبْهَةَ النِّيرَانِ فِي دُعْرِ
كَمْ أَمَّنُوا خَائِفًا وَالْمَوْتُ يَلْحَقُهُ
لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْإِسْتِعْمَارَ يَأْمَنُهُمْ
لَمْ تَعْرِفِ امْزَابَ لَنْ؛ إِنْ كُنْتَ مُعْتَقِدًا
فِي صَرْحَةِ الشَّعْرِ قَدْ أَلْقَتْ حَنَاجِرُهُمْ
قَدْ أَبْرَدُوا نَارَهَا بِالْفَنِّ وَالْأَدَبِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى الْإِعْزَازِ يَقْرَعُنَا
مِنْهُمْ سَفِيرٌ؛ صَحَافِيٌّ؛ وَمُنْتَخَبٌ
فِي مِهْنَةِ الطَّبِّ وَالتَّمْرِ يَضِ قَدْ بَرَعُوا
مَعْطُوبُ حَرْبٍ وَمَخْبُوسٌ وَمُفْتَقَدٌ
السِّرُّ مَنَهِجُهُمْ فِي الْحِلِّ وَالْحَضَرِ

560

565

570

وَالنَّصْرُ فَخْرٌ لِأَهْلِ الدَّلِّ لَمْ يَسِرْ
بِالْحَزْمِ تَلْقَاهُ لَمْ يَهْرُبْ مِنَ الْخَطَرِ
يَأْوِي الْجُنُودَ عَلَى شُغْلٍ وَمُؤْتَمَرٍ
كَيْ يَرْتَقِيَ عِنْدَ رَبِّ عَالِمِ الْخَبَرِ
لَكِنَّهَا حِيلَةُ التَّحْطِيطِ وَالنَّظَرِ
كَمْ مَوَّلُوا مِنْ ثَوَارٍ فِي خُطَى الْحَذَرِ
قَدْ أَوْجَعُوا ظَهْرَهُ بِالْوَخْزِ وَالْإِبْرِ
صِدْقَ الْحُسُودِ وَصِدْقَ الْكَاتِبِ الْأَشْرِ¹
عَلَى فَرْنَسَا شِهَابِ النَّارِ وَالْحَجَرِ
يَكْفِي لَنَا "قَسَمًا" فَخْرًا مَدَى الدَّهْرِ
فِي هَيْبَةٍ فَكَّرْنَا خَيْرَ مُدَكَّرِ
فِي كُلِّ حَقْلٍ لَهُمْ لَوْنٌ مِنَ الزَّهْرِ
وَاسْتَشْهَدُوا فِي صُفُوفِ الْحَرْبِ وَالْحَصْرِ²
مُسْتَشْهَدٌ تَحْتَ سَوْطِ الْجِلْدِ كَالْمَطَرِ
مَهْمَا رَأَوْا لَمْ يَخْنُ فَرْدٌ وَلَمْ يَدُرْ

¹ - الْأَشْرُ: البطر والتكبر؛ وفي القرآن: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: 25].

² - ضَرَبْتُ مِنَ الْعِيٍّ، وَخَصِرَ فَلَانٌ وَخَصِرَ صَدْرُهُ خَصْرًا: ضَاقَ، وَمِنْهُ الْحِصَارُ.

مَسْلُوبُ أَمْوَالِهِ ظُلْمًا وَمَا مَلَكَ
مَنْ كَانَ فِيهِمْ شَهِيدًا قَدْ غَدَا فَرِحًا
أَمَّا نَزِيلُ السُّجُونِ الْقَفْرِ قَدْ وَجَدَا
أَمَّا الْأَلَى افْتَقَدُوا أَهْلًا فَقَدْ رَبَحُوا
أَمَّا الَّذِي صَادَرُوهُ الْحِلَّ قَدْ قَفَزَا
وَمَنْ إِلَى غُرْبَةِ الْأَوْطَانِ قَدْ طُرِدَا
وَمَنْ أَذَاقُوهُ مُرًّا صَاحَ مُبْتَهَلًا:
لَحْمِي وَعَظْمِي وَنَفْسِي كُلُّ مَا أَحَدُ
الْكُلِّ تَحْتَ لَوَاءِ الْعِزِّ مُنْتَصِرُ
الْعُسْرِ حَالٌ مِنَ الْأَحْوَالِ مُنْقَرِدُ
إِنْ مَرَّ عُسْرٌ بِكَ فَالْيُسْرُ يَغْلِبُهُ
بِالصَّبْرِ سِرْنَا لِلِاسْتِقْلَالِ نَصْنَعُهُ
جَزَائِرَ الْعِزِّ أَنْتِ الْأُمُّ تَجْمَعُنَا
أَمْزَابُ مِنْكَ وَأَنْتِ مِنْهُ فِي جَسَدِ
أَمْزَابُ لَمْ يَنْفَصِلْ يَوْمًا عَنِ الْوَطَنِ

مُهَجَّرٌ سَارَ فِي خَوْفٍ وَمُنْكَسِرُ
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ بَيْنَ الْغَيْدِ وَالْخَضَرِ¹
فِي خَتْمَةِ الذِّكْرِ أَخْلَى الْأُنْسِ وَالسَّمْرِ² 575
بِالصَّبْرِ فِي اللَّهِ حَقًّا جَنَّةَ الشُّرْرِ
يَبْنِي مِرَارًا وَلَمْ يَجْزَعْ مِنَ الْقَدَرِ
فِي ثَوْرَةِ الصُّحْفِ أَلْفَى مَبْلَغَ الْوَطْرِ
أَرْضِي بِلَادِي وَقَاكَ اللَّهُ مِنْ ضَرَرِ
أَفْدِي بِهِ الْأَرْضَ لَمْ أَرْضَ بِمُدَّخِرِ 580
صَارَتْ فَرَنْسَا هِيَ الْخَسْرَانُ فَاعْتَبِرِ
وَالْيُسْرُ أَحْوَالُهُ تَتَرَى عَلَى الْبَشْرِ
فِي الْوَقْتِ وَالْقَدْرِ وَالْأَنْوَاعِ؛ فَاصْطَبِرِ
فَاَحْفَظْ بُنْيَ لَنَا التَّارِيخَ وَافْتَخِرِ
فِي سَاحَةِ الدِّينِ إِخْوَانًا عَلَى سُورِ 585
أَمْزَابُ فِي قَلْبِكَ كَالْمَاءِ لِلشَّجَرِ
كَأَلًا؛ وَبَلَّ قَدْ غَدَا فِي أَجْمَلِ الصُّورِ

¹ - جمع غيداء؛ وهي المرأة النَّاعمة؛ ونقصدُ بها الأزواج وحوار العين.

² - القفر: الخالي من الأمكنة؛ أي ليس فيها أدنى وسائل المتعة والراحة.

2- الْحَيَاةُ الْفِكْرِيَّةُ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةُ [36]

الْعِلْمُ نُورٌ؛ وَنُورُ الْعِلْمِ بِالسَّهْرِ
وَالْجَهْلُ ثَوْبٌ مِنَ الظُّلُمَاءِ تَلْبَسُهُ
بَيُوضٌ مِنْ مَوَكِبِ الْإِصْلَاحِ قَدْ بَزَعَا 590
أَطْفِيشٌ ثُمَّ يَقْضَانُ وَبَعْدَهُمَا
قَدْ فَجَّرُوا نَهْضَةَ الْإِصْلَاحِ وَاجْتَهَدُوا
مِنْ بَعْدِهِمْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ مِنَ النُّجُبِ
لَمْ يَخْرُجُوا بُغْيَةَ التَّفْرِيقِ بَلْ لَحِقُوا
قَدْ مَسَّهُمْ مِنْ لَظَى الْمُحْتَلِّ مَا لَفَحَا 595
فِي قِلَّةِ الْمَالِ وَالْأَوْضَاعِ تَضَطَّرَبُ
فِي نَهْضَةِ الْعِلْمِ لَا عِرْقٌ وَلَا حَسَبٌ
إِنْ كَانَ بِالْأَمْسِ فُرْطَائِيٌّ بَرَزَا
مَا بَالُ بَيُوضِنَا يُرْمَى عَلَى غَلَطٍ

مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ يَأْبَى النَّوْمَ لِلْسَّحْرِ
يُعْمِيكَ قَهْرًا لَكِي يُزْدِيكَ فِي الْحَفْرِ
مَا إِنْ أَتَتْ نَهْضَةُ الْقُطْبِ عَلَى الْكِبَرِ 590
عَدُونُ وَالْبُكْرِي بِالنَّهْجِ وَالْأُطْرِ¹
أَكْرَمَ بِهِمْ فَوْقَنَا كَأَلَا نَجْمِ الزُّهْرِ
وَشَاعَ نُورُ الْهُدَى فِي التَّلِّ وَالْحَضَرِ
فَجَرَ النُّهُوضِ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي قَدَرِ
وَجْهِ الْجُمُودِ فَقَامَ الْكُلُّ لِلْغَيْرِ² 595
قَدْ لَاحَقُوا الْعِلْمَ فِي صَبْرٍ وَمُفْتَحَرِ
يَطْفَى؛ وَلَا مَذْهَبٌ فِي الدِّينِ وَالْفِكْرِ
أَوْ جَرَبِيٍّ قَدْ أَتَى بِالنُّورِ مِنْ قُطْرِ
لَمْ يَسْلَمْ النَّاسُ مِنْ عَيْبٍ مَعَ الْقَصْرِ

¹ - قصدنا: أبو إسحاق أطفِيش (1886/1965م) وحمدى إبراهيم أبو اليقظان (1888/1973م) وسعيد شريفى المعروف الشيخ عدُّون (1902/2004م) وعبد الرحمن بكلي (1901/1986م) فهؤلاء أبرز رجال النهضة الإصلاحية.

² - الغير: الاسم من قولك: غَيَّرْتُ الشَّيْءَ فَتَغَيَّرَ.

فِي عَيِّ أَهْلِ التُّهَى قَدْ زَاغَتْ الْأُمَمُ 600
 لَمْ نَرْتَضِ طَمَسَ نَهْجِ كَانَ فِي السَّلَفِ
 الْعَقْلُ يَدْفَعُنَا وَالِدَيْنِ يَأْمُرُنَا
 أَشْيَاخُنَا وَحَدَّةٌ فِي الدِّينِ تَرْبِطُهُمْ
 قَدْ عَلِمْتُ بِنْتَنَا مِنْ بَعْدِمَا حُبِسَتْ
 فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ بِالْإِخْلَاصِ قَدْ رُفِعَتْ 605
 فِي سِلْكِ كَشَافَةٍ قَدْ أَبَدَعُوا الْحَدَثَا
 مِنْ نَهْضَةِ الْقُطْبِ بِالتَّسْوِيقِ فِي أَفْقِ
 قَدْ سَوَّقُوا مِنْهَجَ الْأَصْحَابِ بِالْعَلَنِ
 إِنْ كَانَ فِي قَرْنِنَا الْعِشْرِينَ مَكْرُمَةً
 كَمْ قَدْ ظَلَمْنَا هُدَى الْأَسْلَافِ حِينَ غَدَا 610
 مَهْلًا أَيَا نَافِثَ الْأَحْقَادِ لَيْسَ لَنَا
 قَدْ كَانَ فِي شِدَّةِ الْمُحَافِظِينَ لَنَا
 حَتَّى إِذَا مِنْهَجُ الْخُرُوجِ انْبَثَقَا
 فِي رُشْدِهِمْ كَمْ بَنَتْ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَثَرِ
 أَيْضًا وَلَمْ نَرْتَضِ الْجُمُودَ فِي النَّظَرِ
 أَنْ نَتْرُكَ السَّيْرَ فِي ضَيْقٍ وَفِي خَطَرِ
 لَمْ يَقْطَعُوا غُرُوزَ الْإِسْلَامِ بِالْكَدَرِ¹
 لِحُجَّةٍ حَفِظَهَا بِالِدِّينِ فِي الْوَكْرِ²
 مَدَارِسُ لَمْ تَزَلْ تَحْيَا عَلَى وَتَرِ³ 605
 لَمْ يَتْرَكُوا حَظَّهُمْ فِي أَبْعَدِ السَّفَرِ
 قَدْ قَامَ أَنْصَارُ بَيْوُضٍ فَلَا تَحِرِ
 وَأَفْسَحُوا سَيْرَهُ مِنْ غَيْرِ مُنْتَظَرِ
 فَهِيَ ضَحَى نَهْضَةِ الْإِصْلَاحِ فِي نَظَرِي
 مُحْتَكَرًا بَيْنَنَا فِي أَعْقَلِ الْبَقَرِ 610
 فِي سَاحَةِ امْزَابٍ مِنْ بُغْضٍ عَلَى نَفَرِ
 سَدًّا يَقِينَا سُيُولَ الْجَرْفِ وَالْغَوَرِ
 عَلَّمْنَا وَاجِبَ التَّفَكِيرِ فِي الْآخِرِ

¹ - الكدرُ نقيض الصافي؛ أي لم يحجبوا الفهم الصحيح للإسلام بفهمهم غير السليم.

² - الوكرُ: موضع الطائر الذي يختفي فيه؛ استعير للبيت السكني للبنات.

³ - أي على نفس الوتيرة والنمط الذي ابتدأت به بلا انقطاع.

وَمِنْهُمْ جُ النَّورِ لَمَّا قَامَ لَمْ يَجِي
وَحِينَ نَادَى تَدْبُرُ إِلَى الذِّكْرِ
مِنْ صَيْحَةٍ مِّنْهُمْ الْأَحْزَابُ كَانَ لَنَا
مَهُمَا وَجَدْتَ مِنَ الْأَحْزَابِ فِي الْوَسْطِ
مِنْ كُلِّ حَقْلٍ فَخُذْ زَهْرًا وَكُنْ فَطْنًا
إِنْ شِئْتَ أَنْ تُحْدِثَ الْجَدِيدَ فَانْتَبِهْ
أَمْزَابُ فِي كُلِّ عَهْدٍ ظَلَّ تَرْبِطُهُ
لَوْ كَانَ فِيهِمْ صِرَاعٌ لَمْ تَرَ ثَمَرًا
يَا لَيْتَ شِعْرِي لِمَ الْأَجْيَالُ تَنْتَطِحُ؟
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ كُلَّ النَّاسِ فِي نَسَقٍ

615

إِلَّا لِيُحْيِيَ هُدَى الْمُخْتَارِ فِي الْفِطْرِ
بَصَرَنَا خُطَّةَ الشَّيْطَانِ فِي الْبَشَرِ
وَعَيٍّ وَحَسٌّ بِلَا خَوْفٍ وَلَا صَغَرٍ
لَمْ تَلْقَهَا فَكَرَتْ تَمْزِيقَ مُؤْتَرَرٍ
وَاتْرُكْ دُعَاةَ الْهَوَى بِالْحَزْمِ؛ وَاعْتَدِرْ
أَنْ تَتْرُكَ الْكَنْزَ مِنْ جَهْلٍ وَمِنْ قِصَرٍ
فِي الدِّينِ نُظْمٌ مِنَ الْأَشْيَاخِ وَالْكَبَرِ
فِي مَعْهَدٍ قَامَ أَوْ صَرَحَ عَلَى مِرَرٍ¹
لَوْ تَفَقَّهُ السَّرَّ فِي التَّنْوِيعِ لَمْ تَثُرْ
كَيْ يَتْرُكَ الْعَبْدَ فِي بَحْثٍ وَمُخْتَبَرٍ

620

3- الْحَيَاةُ السِّيَاسَةُ وَالْإِقْتِسَادِيَّةُ [29]

الْعَدْلُ وَالْأَمْنُ فِي خَصْبٍ وَفِي مَطَرٍ
أَمْزَابُ مِنْ غَابِرِ الْأَزْمَانِ تَحْكُمُهُ
لَدَيْهِ أَنْظَمَةٌ فِي الْعُرْفِ وَالْأَدَبِ

625

سِرُّ الْحَضَارَاتِ فِي التَّعْمِيرِ وَالْعُمَرِ
عَزَابَةٌ فِي خُطَى الصِّدِّيقِ أَوْ عُمَرِ
تَلْقَى قَبُولًا عَلَى حُبِّ بِلَا ضَجَرٍ

¹ - جمع مِرَّة وهي القوة؛ وفي الحديث: "لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِعُضْبِيٍّ وَلَا لَذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ".

لَمْ يَنْخَذِلْ تَحْتَ حُكْمٍ لَا وَلَمْ يُرِدْ
وَأِنَّهُ حِينَ حَلَّ الْكُفْرُ وَانْتَشَرَا
لَمَّا فَرَنَسَا طَغَتْ فِي الْأَرْضِ وَافْتَرَضَتْ
كَمْ تُهُمَةٌ صَدَقَ! كَمْ حُجَّةٍ رَفَضَا!
فِي الظَّنِّ كَمْ عَذَبَ! كَمْ سَجَنَ وَنَفَا!
بِالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ قَسْرًا لَقْنِ (a)(b)(c)
قَدْ حَاصَرَ النَّاسَ فِي سَيْرٍ وَفِي سَفَرٍ
فِي خُطَّةِ الْغُرْمِ وَالتَّنْكِيلِ قَدْ قَبَعَا
بَيْنَ الْأَهَالِي وَبَيْنَ الصَّحْبِ قَدْ قَذَفَا
مَتَاجِرَ أُحْرِقَتْ؛ مَكَاسِبُ أُزْهِقَتْ
كَمْ يُعْجَبُ النَّاسُ بِالْأَلْوَانِ وَالصُّوَرِ
لَيْسَ ادِّعَاءُ الشُّعُوبِ الْعَدْلَ يَرْفَعُهَا
قَدْ كَانَ لِمَزَابِ فُرْسَانًا بِلَا عَدَدٍ
إِنْ خَفَّ وَطْءُ فَرَنَسَا اسْتَنْهَضُوا الْهِمَمَا
أَوْ دَاهَنُوهَا لِكَيْ يَسْتَرْجِعُوا النَّفْسَا

630

635

640

حَتَّى مَعَ بَارِقِ الْأَحْدَاثِ وَالنُّذْرِ
لَمْ يَرْضَ أَنْ يُحْرِمَ الْإِسْلَامُ فِي ظُفْرِ
حُكْمًا مَعَ عَسْكَرٍ يَسْعَى عَلَى عَوْرِ
كَيْ يَجْعَلَ النَّاسَ فِي خَوْفٍ وَمُزْدَجَرٍ¹
كَأَنَّهُ يَحْكُمُ شَعْبًا مِنَ الْبَقَرِ
وَأَنْفَقَ الْعِلْمَ فِي مَنْ وَفِي قَتَرِ
مُسْتَتْبِعًا خَلْفَهُمْ عَيْنًا بِلَا خَبَرِ
فِي أَتْفِهِ الذَّنْبِ؛ لَمْ يَسْمَعْ لِمُعْتَذِرِ
نَارًا؛ فَأَضْحَى يُدِيرُ الطَّبْحَ بِالْبَصْرِ
لَمْ يَبْقَ فِي أَبْحَرِ الْعُدَوَانِ مِنْ جُزْرِ
فِي جُعْبَةِ الْحَيَّةِ سُمٌّ مَعَ الْإِبْرِ
تَارِيخُهَا يُعْلِنُ التَّحْقِيقَ فِي النَّظَرِ
فِي سَاحَةِ الْحُكْمِ وَالْأَحْزَابِ لَمْ يَبْرِ²
فِي دَسِّ حَرْبٍ غَوَتْ؛ لَمْ تُبْقِ لَمْ تَذَرِ
إِنْ أَشْهَرَتْ سَيْفَهَا تَصْحُو مِنَ السَّكْرِ

¹ - إيقاع المرء في موضوع الزجر وهو التهي العنيف؛ وفي القرآن ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرْ﴾ [القمر: 9].

² - من بار يبور فهو بور؛ أي هالك زائل، وفي القرآن: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: 18].

سِيَّاسَةً لَمْ يَعْهَدِ الْهَمَّجُ الْهَمَّجُ
حَتَّى إِذَا أَحْسَنْتَ ظَنًّا بِنَا - خَرِبْتَ -
كَمْ مَتَجَرٍّ ضَمَّ تَخْطِيطًا وَمُؤْتَمَرًا
لَيْسَ الْمِزَابِيُّ يَوْمًا يَتْرُكُ الْعَمَلَا
لَمْ يَكْنِزِ الْمَالَ لِلتَّرْفِيهِ وَالرَّغْدِ
قَدْ وَسَّعَ الشُّغْلُ بِالْأَسْفَارِ وَالْعَنَتِ
حَتَّى إِذَا أَكْرَمَ إِلَاهُ مَوْطِنَنَا
دُئِمْنَا عَلَى الْعَهْدِ لَمْ نَقْعُدْ وَلَمْ نَحْنِ
لَمْ نَدَّخِرْ جُهْدَنَا فِي الرَّأْيِ وَالْعَمَلِ
جَزَائِرُ الْمَجْدِ لَمْ تُخْلَقْ مِنَ الْعَبَثِ
إِنْ لَمْ نَكُنْ خَيْرَةَ الْأَخْيَارِ فِي الْوَطَنِ

645

650

فِي نَشْوَةِ الْحَرْبِ كَمْ بَادَ مِنَ الْحَضَرِ
فُئِمْنَا عَلَى الْمَالِ وَالْأَعْمَالِ لَمْ نَذَرِ
أَبْدَى عَلَى الْوَجْهِ بَيْعَ الثَّوْمِ وَالْجَزْرِ
كَلَّا وَلَا يُكْنِزُ الْأَرْزَاقُ بِالْغَرَرِ
بَلْ هُمُّهُ يَدْعُمُ الْإِخْوَانَ فِي ثَغَرِ
فِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ فِي شَمْسٍ وَفِي قَمَرِ
جَزَائِرَ الْعِزِّ بِاسْتِقْلَالٍ مُنْتَصِرِ
فِي غَيْرِ نَهْجِ الْكِرَامِ الْحُرِّ لَمْ نَسِرِ
مِنْ حِنْكَةِ الْمَرْأَةِ وَقُوَّةِ الذَّكْرِ
مِنْ خَلْفِهَا خَيْرَةُ الرِّجَالِ وَالسَّيْرِ
إِنَّا لَمِنْ زُمْرَةِ الْأَخْيَارِ؛ فَاخْتَبِرِ

الفصل الثالث: لَفْتَةٌ إِلَى أَعْلَامِ امْزَابٍ¹

1- قَدَمَاءُ الْمُجْتَمَعِ الْمِرَابِيِّ قَبْلَ الْمَذْهَبِ الْإِبَاضِيِّ [21]

ذِكْرُ الرِّجَالِ وَحِفْظُ الصَّدْرِ وَالْعُجْزِ
مَهْمَا حَرِصْتُ عَلَى التَّبَيَّانِ وَالنَّسَقِ
أَعْلَامُ مِزَابٍ بَحْرٌ لَا حُدُودَ لَهُ 655
وَالْعُذْرُ نُهْدِي لِمَنْ بِالْجَهْلِ قَدْ نُسِيََا
مَنْ دَسَّ قَدْرَ الرِّجَالِ لَمْ يَعِشْ غَدَهُ
وَلِيَحْفَظِ النَّاسُ لِلتَّارِيخِ أَنْجُمَهُ
امْزَابُ يَا وَالِدَ الْأَجْيَالِ يَا أَبْنَا
قَدْ كُنْتَ غُنْوَانَ أَرْضِ الْخَيْرِ وَالْقِيمِ 660
مَنْ كُلِّ عَيْبٍ طُمُوحُ خَابَ لَمْ يُفْزَرْ
سَوْفَ يَرَانِي فُحُولُ النِّظَمِ فِي عَجَزِ
أَوْصِيكَ حَبْرِي: عَلَى الْأَكْفَاءِ فَارْتَكِزْ
فِي أَيِّ فَنٍّ أَتَى وَكَانَ فِي بَرَزٍ²
إِلَّا عَلَى ظُلْمَةِ الْأَيَّامِ وَالْعَوَزِ
فَالصَّدُّ عَنْ قَدْرِ أَهْلِ السَّبْقِ لَمْ يَجْزِ
كَمْ يَكْفِي فِي الْمَدْحِ مِنْ نَشْرِ وَمِنْ رَجَزِ
أَرْضٍ طَوَتْ صَفْحَةَ حَيَاتِهَا الْجُرْزِ³

¹ - كُنَّا خَطَطْنَا لتفصيل وافٍ عن الأعلام، فعدَلْنَا عن ذلك لغرضين؛ لعدم إمكان ذلك فما أكثرهم، ولأنَّ أبرَرَ الأعلام قد سبقَت أبياتٌ وافية في شأنهم، أضف إلى ذلك أنَّ الفصل الرابع الهامَّ والأخير، والذي يتمثَّل في الأعراف والعادات والجوانب الحضارية سيتأثَّر بالإطالة بلا شك، ونحنُ محكومون بـ1001 بيت.

هذا ودون أن نخفي للقارئ بأنَّه قد كان أكبر تعثُّر للنَّظْم في هذا الصَّدَد.

² - البرُّزُ مستعملٌ في معاني الظهور والبروز.

³ - أرضُ جُرْزٍ لا تُنْبِتُ، أو أُكِلَ نباتُها، أو لم يُصْبَها مطرٌ؛ وفي القرآن: ﴿تَسْقُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ﴾ [السجدة: 27].

قَدْ كُنْتَ حَيًّا مَعَ الْأَزْمَانِ لَمْ تَمُتِ
خَلَفْتَ جَنْسًا مِنَ الْأَخْيَارِ وَالنُّجَبِ
يَا ابْنَ مُضَابٍ كُنْ فَخْرًا وَلَا تَخُنْ
فِي مَذْهَبٍ وَاصِلٍ أَيْضًا لَنَا سَلَفٌ
فِي كُلِّ قَصْرِ رِجَالٍ قَدْ بَنَوْا أُسُسًا
بِاسْعِيدُ ابْنُ بَابِكِرٍ وَأَبْعُورُ وَ
وَكُلُّ مَنْ بَيْنَنَا قَدْ عَمَّرَا حَقْبًا
هَذَا وَإِنَّا بَرَاءٌ مِنْ ذَوِي النَّجَسِ
أَسْلَافُنَا مَفْخَرٌ؛ وَالْحَقُّ نَنْطِقُهُ
مَنْ يَنْتَهِكُ حُرْمَةً بِالْقُورِ نُبْعِدُهُ
وَمَنْ عَلَى غَيْرِ نَهْجِ الصَّحْبِ إِنَّا لَهُ

فِي تَاجِ عُمْرِكَ مَا لَمْ يُحْصَ مِنْ حَرَزٍ¹
عَنِ سَيِّءِ الْخُلُقِ قَدْ قَامَ عَلَى نَشْرِ
عَهْدًا؛ وَعَنْ لَطْحَةِ الْبَيَاضِ فَاحْتَرِزِ
مِنْهُ ابْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْعَالِمِ الْحَرِزِ
وَالْبَعْضُ قَدْ صَارَ عُتُونًا لَهَا وَعُزِي² 665
إِبْنُ إِسْحَاقَ؛ وَحَصَرَ الْكُلَّ لَمْ أُخْرِ³
قَدْ صَارَ مِنَّا بِلَا طَعْنٍ وَلَا مَيَزِ⁴
مَنْ بَاءَ بِالشِّرْكِ وَالْعِصْيَانِ فِي شَرَزِ⁵
لَكِنَّهُمْ عُرْضَةٌ لِلْعَمْرِ وَاللَّمَزِ
مَنْ يَعْتَصِمَ بِرِدَاءِ الْعِرْقِ لَمْ يَفْرِ
670 كَاخْوَةٌ لَمْ نَقُلْ سُوءَ وَلَمْ نُجْرِ

¹ - الحَزْرُ: جواهرٌ وما شاكلها تنظمُ منه القلائد؛ وقد قيل جرت العادةُ عند بعض الممالك أن يضعوا على تاج ملكهم منها بعدد سني حكمه.

² - صيغةٌ مبنيةٌ لما لم يُسمَّ فاعلهُ، من التَّعَزَّى أي الالتئام والالتساب إلى القوم. يقال: عَزَيْتُ الشَّيْءَ وَعَزَوْتُهُ وَعَزَيْتُهُ وَأَعَزَيْتُهُ وَأَعَزَوْتُهُ إِذَا أَسْنَدْتَهُ إِلَى أَحَدٍ

³ - انظر مزيد تفصيل عن هؤلاء وغيرهم في: الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، ط3، ص13 وما بعدها.

⁴ - الميزُ، من التَّمْيِيز والتَّفْرِيق.

⁵ - شَرَزٌ بمعنى شرس أي مفضٍ إلى الإهلاك؛ يقال: أَشْرَزَهُ اللَّهُ: أَي أَلْقَاهُ فِي مَكْرُوهٍ.

أَمَّا عَلَى الصَّحْبِ حَقٌّ لَمْ يَنْلِ أَحَدًا فِي فِفْهِنَا شَرْحُهُ؛ إِنَّ شِئْتَ فَاَنْتَهَزِ
وَالْكُلُّ فِي الْقَدْرِ مَحْفُوظٌ وَمُحْتَرَمٌ أَمَّا الْوَلَاءُ فَغَيْرُ الصَّحْبِ لَمْ يَحْزِرْ

2- أَشْيَاخُ نِظَامِ الْحَلَقَةِ [18]

كَمْ لِلْبِنَا الْمُرْتَقِي فِي الْأَرْضِ مِنْ أُسُسٍ لَوْلَا الْأَوَائِلُ كَانَ الْوَضْعُ بِالْعَكْسِ¹
النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ نِعَمٍ وَسِعَتْ لَنْ يَرْتَقِيَ مَنْ يَسْأَلُ الْفَضْلَ بِالْبَحْسِ
كَمْ هَيَّا اللَّهُ لِلتَّطْوِيرِ مِنْ سُنَنِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْخَضِرَاءِ وَالْيَبَسِ
مُحَمَّدُ الْفَرُسْطَائِي أَيْمَا عَلَمًا مِنْ بَعْدِمَا أُسْقِطَ بِالْحَرْبِ فِي رَكْسِ²
قَدْ كُنْتَ لِلصَّحْبِ صُبْحًا بَاتَ مُنْتَظَرًا وَكُنْتَ حَقًّا خَيْرَ الرَّأْيِ وَالْحَدْسِ³
تَوَسَّمَ النَّاسُ فِيكَ الْخَيْرَ فَاِمْتَثَلًا لِسَنِّ أَنْظَمَةٍ دَامَتْ عَلَى نَفْسِ
بِعُمُقٍ فِكْرٍ وَهَبْتَ النُّورَ وَالنَّظْرَا 680 فِكْلٌ إِنْجَارَكَ قَدْ صِينَ مِنْ دَرَسِ⁴
أَلْفٌ مَضَتْ كَي تَبُوءُ الْعَرْشَ مُرْتَفَعًا فِي أَرْضِنَا تَحْتَ وَقَعَ الرَّدِّ وَالْهَوَسِ
أَنْتَ الَّذِي قَدْ نَقَلْتَ الْخَيْرَ تَغْرِسُهُ

¹ - من الانتكاس؛ وهو الانقلاب وفي القرآن: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء: 65].

² - الرُّكْسُ: قلب الشيء على آخره، أو رد أوله إلى آخره، وفي القرآن: ﴿وَاللَّهُ أَزْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: 88].

³ - الحَدْسُ: التَّوَهُّمُ في معاني الكلام والأمر. وتقول: بَلَّغْنِي عَنْهُ أَمْرًا فَأَنَا أَحْدِسُ فِيهِ.

⁴ - من الرِّوَال، يأتي درس بمعنى: زال وعفا وانحى.

وَالْكُلُّ قَدْ جَاءَهُ؛ وَالْفَضْلُ قَدْ حُلْصَا
وَالشَّيْخُ عَبْدُ الْكَافِي جَاءَ عَلَى أَمَدٍ
أَكْرَمَ بِهِ فَوْقَ وَرَجُلَانِ مُشْتَهَرًا
لَمْ تَبْقَ فِي النَّاسِ مِنْ نُظُمٍ تُؤَانِسُهُمْ
قَدْ أَيْنَعَتْ أَرْضُكَ يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ
أَنْتَ الَّذِي قَدْ قَسَمْتَ الْمَالَ تُنْفِقُهُ
تَأْبَى عَلَى نَفْسِكَ رَسَائِلًا وَرَدَتْ
فِي الْمَالِ كَمْ أَخْفَقْتَ مِنْ أَنْفُسٍ وَهَوَتْ
كَمْ ضَيَّعَ اللَّهُوُ فِي التَّعْلِيمِ مِنْ رُتَبٍ

685

690

يَا رَبِّ فَاجْزِ صَبُورًا جَنَّةَ الْقُدْسِ
فَطَوَّرَ الْأَصْلَ فِي حُبِّ وَفِي وَجَسٍ
كَالشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْغَلَسِ
إِنْ لَمْ تُصِبْهَا يَدُ التَّطْوِيرِ بِاللَّمَسِ
كَمْ كَانَ فِي مَجْدِكَ لِلنَّفْسِ مِنْ جَرَسٍ!
فِي مَهْجَرِ الْعِلْمِ فِي ضَيْقٍ وَمُنْحَبَسٍ¹
كَيْ تَطْلُبَ الْعِلْمَ فِي أَمْنٍ بِلَا هَجَسٍ
مَنْ يَلْحَقُ الْمَالَ عَاشَ الْعُمَرُ فِي تَعَسٍ
إِنْ شِئْتَ تَرْقَى؛ ضِيَاعَ الْوَقْتِ فَاحْتَرَسِ

3- مَقَامُ أَعْلَامِ مَرْآبِ عَبْرِ التَّارِيخِ [27]

يَحْيَا الرِّجَالُ وَيَعْلُو الذِّكْرُ فِي الْقُدْسِ
رِجَالُنَا مَفْخَرٌ فِي كُلِّ مَحْمَدَةٍ

بِقَدْرِ مَا قَدَّمُوا مِنْ خَالِصِ النَّفْسِ
فِي الدِّينِ وَالْأَرْضِ فِي التَّعْلِيمِ وَالْحَدَسِ²

¹ - حُكِيَ أَنَّهُ تُرْسِلُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي تُونِسَ كُلَّ عَامٍ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْ وَرَجُلَانِ؛ وَكِتَابٌ مَعَهَا رِسَالَةٌ؛ فَلَا يَقْرَأُ الرِّسَالَةَ، وَكَانَ يُعْطِي شَيْخَهُ مِنْ ذَلِكَ التَّصَفِّ، وَيَصْرِفُ التَّصَفِّ عَلَى نَفَقَتِهِ وَكُسُوتِهِ؛ شَرَاءَ كُتُبٍ يَحْتَاجُهَا، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ قَرَأَ الْكِتَابَ وَالرِّسَالَاتِ فَوَجَدَ فِي أَخْبَارِ وَفَاةٍ لِأَفْرَادٍ مِنْ عَائِلَتِهِ.

² - مِنَ الْحَدَسِ، وَهُوَ تَفْهَمُ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ إِغْرَاقٍ، أَشْرْنَا بِهِ إِلَى جَانِبِ الْفِكْرِ عَمُومًا.

الْكُونُ يُغْبِطُهُمْ فِي وُسْعٍ نَاضِرِهِمْ
لَا تَعْجَبَنَّ فَهُمْ كَالِدُرِّ تَحْقِرُهُ
فَاقْرَأْ لَنَا مُعْجَمًا بِالشَّانِ أَظْهَرَهُمْ
بِالْفِكْرِ قَدْ خَلَدُوا حَضَارَةً حَظِيَّتْ
أَعْلَامُ فِكْرِ بِلَادِ امْزَابِ أَعْمَدَةٌ
مُنْظَرُ امْزَابِ عَقْلٍ وَاحِدٌ حَكَمًا
فِي الدِّينِ قَدْ بَرَزَ الْأَعْلَامُ وَامْتَثَلُوا
لَمْ يَتْرَكُوا مِنْهَجًا فِي الرَّفِّ مُخْتَرَنًا
أَبْنَاءُ مِزَابِ عُنْوَانٍ مِنَ الْقِيَمِ
بِالْفِكْرِ وَالِدِّينِ يَرْفَى الْمَرْءُ فِي أَفْقٍ
لَيْسَ انْحِطَاطُ حَيَاةِ الْقَوْمِ مَهْلَكَةٌ
مَا دَامَ فِيهِمْ كِرَامُ الدِّينِ وَالْحَسَبِ
بِالْعِلْمِ قَدْ لَبَسُوا تَاجًا يُجَمِّلُهُمْ
فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُمْ سَبْقٌ وَمُنْطَلَقٌ

695

700

705

وَقَدَرُهُمْ قَدْ سَمَا فِي حَضَرَةِ الشُّمُسِ
لَكِنَّهُ الْأَنْفَسُ فِي الْبَحْرِ وَالْيَسِ
وَانْظُرْ تَرَى صُورًا فِي الْعُجْبِ لَمْ تُقَسِّ¹
تَحْكِي لَنَا قَصَصًا فِي الْكُتُبِ فَالْتِمَسِ
بِالسِّلْكِ قَدْ وُصِلَتْ مِنْ غَيْرِ مَا دَرَسِ²
كُلَّ الْعُصُورِ؛ وَنَهَجَ الْحَقِّ لَمْ يَدُسِ
مِنْ نُورِ أَحْمَدَ قَدْ فَازُوا بِمُقْتَبَسِ
تَارِيخُهُمْ مَحْفَلٌ لَمْ يَحْظَ بِالدَّنَسِ
وَحُلَفَاهُمْ بِكَرَامِ الصَّحْبِ فَلْتَقَسِ
فِي الْجَهْلِ وَالْغِيِّ شَرُّ الْعَيْشِ فَاحْتَرَسِ
فَالْكِبْوَةُ قَدْ تُرَى فِي أَجُودِ الْفَرَسِ
أَغْلَانُنَا لَنْ يُرَى كَالْمُبْتَلَى الْبَسِ
فِي حُلَّةِ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ كَالْعُرْسِ
وَرَفَعُهُمْ هِمَّةَ الْإِبْدَاعِ لَمْ يُقَسِّ

¹ - هنا إشارة إلى معجم أعلام الإباضية، وهو مليء بالشخصيات المزايبة، مع رجائنا الكبير في صدور الطبعة

الثانية التي تضمنت علماء وأعلام آخرين بشكلٍ أوسع.

² - من درس اندرس، إذا زال وطُمِسَتْ آثاره.

قَدْ وَرَثُوا الْعِلْمَ لِلْأَجْيَالِ مُزْدَهَرًا
كَمْ سَطَرُوا كُتُبًا؛ بِالْحِجْرِ قَدْ لَطَخَتْ
كَمْ خَلَدُوا مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
مَعَاهِدًا أَنْشَأُوا، مَدَارِسًا عَمَّمُوا
كَمْ أَسْرَةَ عَزَّزْتَ لِلْمَجْدِ أَنْجُمَهُ
فِي الْأَرْضِ قَدْ غَرَسُوا نَخْلًا وَقَدْ حَفَرُوا
قَدْ خَطَطُوا لِأُصُولِ الْأَرْضِ فِي نُظْمٍ
قَدْ أَبَدَعُوا فِي نِظَامِ السَّقْيِ فَازْدَهَرَتْ
بِالظَّهْرِ وَالْفَأْسِ وَالْمِنْشَارِ وَالْجَمَلِ
قَدْ أَسْهَمُوا فِي بِنَاءِ أَعْتَقِ الْمُدُنِ
أُولَئِكَمُ أَنْجُمٌ فِي الْأَفْقِ قَدْ سَطَعَتْ

710

715

وَالْكُلُّ فِي يَدِهِ نُورٌ مِنَ الْقَبَسِ
تَحْكِي لَنَا قِصَّةَ التَّدْوِينِ بِالْحُمُسِ
كَمْ رَكَّزُوا فِي سَبِيلِ الْوَعْيِ مِنْ أُسُسٍ!
وَحَيْرُهُمْ قَائِمٌ مِنْ غَيْرِ مَا بَخَسِ
لِخُطَّةِ الْخَيْرِ كَانَتْ خَيْرَ مُنْعَكَسِ
لِلْمَاءِ فِي حَالِكِ اللَّيْلِ وَمُنْشَمِسِ
عَاشَتْ قُرُونًا مِنَ التَّطْوِيرِ لَمْ تُدَسِ
بِاسْمِ رِجَالٍ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْبَاسِ
بِالْحِجْرِ وَالطِّينِ وَالْأَخْجَارِ وَالْجِبَسِ
أَنَامِلُ الدِّكْرِ فِي الْجُدْرَانِ لَمْ تُجَسِ¹
إِنْ شِئْتَ تَفْخَرُ أَخِي أَوْ مُتَّ فَابْتَسِ

¹ - من جاسَ يجوسُ، إذا تَخَلَّلَ الشيءَ وطافَ عليه، ومنهُ ﴿جَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾، أي هي جدران قائمة لا تزال، وليست كتلك الدِّيارِ التي أتى عليها أهلُها أو غيرُهم فهدموها.

الفصل الرابع: المَعَالِمُ العُرْفِيَّةُ وَالْحَضَارِيَّةُ لِمُزَابٍ

1-أَمْرَابُ وَالْمَبَادِيُ الْإِسْلَامِيَّةُ [21]

خَيْرُ الَّذِي يُسْفِرُ الْوُجُوهَ عَنْ غَبَشٍ		أَزْكَى صَلَاةٍ عَلَى الْمُبَشِّرِ الْقُرْشِيِّ
مُحَمَّدٍ صَانِعِ الْأَمْجَادِ فِي الْعَرَبِ	720	وَمُرْسِلِ الثُّورِ لِلْأَعْجَامِ وَالْحَبَشِ
أَهْدَيْتَ نُورًا لَنَا قَدْ أَيْقَضَ الِهِمَمَا		سَدَدَتْ؛ فُزْتُ؛ وَسَهُمُ الْحَقِّ لَمْ يَطِشِ
عَلَّمْتَنَا أَدَبًا أَلْبَسْتَنَا قِيَمًا		لَوْلَاكَ فِي حَضْرَةِ الرُّقِيِّ لَمْ نَعِشِ
أَمْرَابُ مَهْمَا غَلَا فِي الْعِرْقِ وَالنَّسَبِ		لِمَذَقَةِ رَحْمَةِ الْإِسْلَامِ فِي عَطَشِ
فِي جُمْلَةِ الدِّينِ وَالتَّوْحِيدِ قَدْ حَفِظَا		مِيثَاقَهُ، مُخْلِصًا لِلَّهِ فِيهِ غَشِي
أَمْرَابُ أَرْفَعُ مَنْ قَدْ مَجَّدَ الرُّسُلَا	725	وَهُوَ بِمَنْ حَقَّرَ الْأَخْيَارَ فِي دَهَشِ
عَقِيدَةُ الْحَقِّ وَالْقُرْآنِ تَجْمَعُنَا		الْكُلُّ نَاجٍ سِوَى مُسْتَكْبِرٍ فَحَشٍ ¹
الْخُلْدُ فِي النَّارِ حَقٌّ وَالشَّفَاعَةُ لِلَّ		أَخْيَارٍ، وَالْمُؤْمِنُ يُرَوِّى مِنَ الْعَطَشِ
عَقِيدَةُ لُقْنَتْ فِي أَوْسَعِ الْكُتُبِ		وَأَشْرَبَتْ فِي مَعَانِي الْحُبِّ وَالرَّعَشِ ²
عَقِيدَةُ أَثَّرَتْ فِي الْعَيْشِ فَازْدَهَرَا		تَبْنِي؛ وَتَنْهَى عَنِ الْعُدْوَانِ وَالْبَطَشِ
الدِّينِ أَعْمَالُنَا وَالْقَوْلُ يَلْزُمُنَا	730	فِي غَيْرِ حُكْمِ الْإِلَهِ الْعَدْلِ لَمْ نَعِشِ

¹ - إشارة إلى حديث: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي

دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». رواه البخاري.

² - الحب والرَّعَشُ بمعنى الخوف والرجاء، من ارتعش إذا انتفض.

الْفَرْدُ فِينَا كَرِيمُ الرُّوحِ لَمْ يَخُنْ
مُنْذُ الصَّبَا يُشْرَبُ الْأَدَابَ مُرْتَضِيًّا
لِنَفْسِهِ مُصْلِحٌ لِلْغَيْرِ مُنْفَتِحٌ
السِّلْمُ وَالْوُدُّ وَالتَّسْهِيلُ يَحْفَظُهُ
مُسَامِحٌ لَا يَجِيءُ الشَّرُّ مُبْتَدَأًا
الْخَيْرُ يُحْسِنُهُ وَالشَّرُّ يُرْجِيهِ
النَّاسُ تَعْرِفُهُ بِالْفَضْلِ وَالْقِيمِ
الْمَالُ يَجْمَعُهُ وَالْكَفُّ يَبْسُطُهُ
إِنْ قُلْتُ مَدْحًا فَأَصِلْ الْحَقَّ أَثْبِتْهُ

735

مُسْتَمْسِكٌ بِكِتَابِ اللَّهِ بِالْجَهَشِ¹
يَحْيَا عَلَيْهَا إِلَى التَّوْدِيْعِ وَالنَّعَشِ
لِرَبِّهِ قَدْ سَعَى حُبًّا وَمِنْهُ خَشْيِ
حَقًّا لِكُلِّ أَنْاسٍ الْأَرْضِ وَالْعُرْشِ
لَكِنَّهُ لَا يُجِِدُ السَّكْتَ فِي الْخَدَشِ
إِلَّا إِذَا عَاجَلَ الْأَوْعَادُ بِالنَّفْسِ²
وَالْحُبُّ يَصْنَعُهُ فِي وَجْهِ مُنْتَعَشِ
فِي دَارِهِ بَسْطَةً مِنْ أَكْرَمِ الْفُرْشِ
حَتَّى وَلَوْ صَارَ جُلُّ الْقَوْمِ فِي طَرَشِ

2- نِظَامُ الْمَسَاجِدِ [13]

كَمْ مَسْجِدٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ لَوْ تَعَصَى
أَمْزَابُ فِي قَلْبِهَا كَالدُّرَّةِ؛ بَرَقَتْ
فِي أَبْيَضٍ نَاصِعٍ قَدْ أَغْرَقَ النَّظْرَا
مَسَاجِدُ وَخُدَّةٌ تَرْبُطُهَا أُطُرُ

740

قَدْ رُفِعَ فِي شِعَافِ الْقَلْبِ وَالْحِرْصِ
تَخْكِي جَمَالًا بَدَا فِي عِقْدِهَا الرِّقْصِ
مَا أَجْمَلَ النَّاسَ فِي صَفٍّ وَفِي رِصْصِ
فِي كُلِّ قَصْرِ وَتَلٍّ مَانِعٍ وَقِصِي

¹ - الجهش: الفرغ إلى الغير، ومنه حديث: (أصابنا عطش فجهشنا إلى رسول الله ﷺ).

² - النفس مستعملٌ حقيقة للغنم إذا عاثت ليلًا تفسد الزرع.

فِي شَكْلِ هَنْدَسَةٍ تَحْكِي لَنَا عَجَبًا
مِئْدَنَةً صُمِّمَتْ كَالْقُطْبِ تَتَّبِعُهَا
مِخْرَابُهُ مَعْلَمٌ يُخَلِّدُ الْأَثَرَا
تُرَابُهُ طَاهِرٌ وَالطِّفْلُ يَحْذَرُهُ
الشَّيْخُ يَقْصِدُهُ بِالصَّبْرِ وَالْفَرَحِ
وَالْكُلُّ تَلْمَحُهُ بِالْقَصْدِ قَدْ وَفَدَا
فِي خِدْمَةِ الْبَيْتِ سَبْقٌ لَا مِثِيلَ لَهُ
فِي اللَّهِ قَدْ قَامَ وَالتَّقْوَى تُعَانِقُهُ
بِالْجُهْدِ قَامَتْ عِمَادُ الْحَقِّ فَاعْتَبِرْ

745

فِي كُلِّ رُكْنٍ مَعَانِي الْفِكْرِ فَلْتَعُصِ
كُلُّ الْمَبَانِي عَلَى اسْتِقَامَةِ الْعَرَصِ¹
فِي مَجْلِسِ الذِّكْرِ وَالْأَشْيَاخِ وَالْقَصَصِ
وَالْمُحَدِّثُ لَمْ يَجِدْ لِلسَّيْرِ مِنْ رُخْصِ!
كَالطَّيْرِ تُطْلِقُهُ مِنْ غُمَّةِ الْقَفْصِ
يَرْجُو أَجُورَ الْعَلَا مِنْ غَيْرِ مَا نَقْصِ
مَنْ فَاتَهُ حَظُّهُ قَدْ نَامَ بِالْغُصَصِ
فِي شَأْنِهِ كَمْ بَكَى الْأَخْيَارُ مِنْ فُرْصِ
إِنْ شِئْتَ تَسْعُدْ فَكُنْ فِي الْخَيْرِ بِالْقَنْصِ²

750

3- نِظَامُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَمُدَارَسَتِهِ [24]

الْقَلْبُ يَحْيَا بِذِكْرِ اللَّهِ فَانْتَفِضِ
الذِّكْرُ فِينَا حَيَاةُ الرُّوحِ نَقْرَاهُ
مِنْ حَلْقَةِ الْبَيْتِ وَالْفَتْيَانِ نَنْطَلِقُ

755

وَاطْفَرْ بِحَمْلِ كِتَابِ اللَّهِ وَأَنْتَهَضِ
فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْإِصْحَاحِ وَالْمَرَضِ
وَالْخَيْرُ نَنْقُلُهُ مِنْ غَيْرِ مَا عَوْضِ

¹ - العرص الأعمدة، وفيها الإشارة إلى استواء البيوت مع الشوارع حسب القبلة في العموم.

² - من الاقتناص وهو التّصيّد والتّرقب.

تَزْهَوُ مَسَاجِدُنَا كَالنَّحْلِ تَقْرُبُهُ
الدِّكْرُ أَخْلَاقُنَا وَالْخُلُقُ قُرْآنُنَا
فِي كُلِّ نَازِلَةٍ مِنْ نُورِهِ قَبَسٌ
الصَّادِرُ يَفْتَحُهُ وَالْأَذُنُ تَسْمَعُهُ
اللَّوْحُ وَالرِّيشُ وَالتَّلْقِينُ مَدْرَسَةٌ
أَهْدَى لَهَا زَهْرَةَ الْأَيَّامِ فِي الْعُمُرِ
بِالْحَرْفِ وَالسَّكَنِ وَالتَّحْرِيكِ يَحْفَظُهُ
وَأَيْنَمَا كُتِبَ الْقُرْآنُ لَمْ يَضِعِ
(أَرْجَالُ) مُنْطَلِقٌ لِلنَّشْءِ يَدْعُمُهُ
تَخْتِمُهُ ثُمَّ الْإِسْطِظْهَارُ تُتْبِعُهُ
مَجَالِسُ الدِّكْرِ وَالتَّرْسِيخُ قَدْ نَهَضَتْ
أَنْصَبَتْ أَوْ اتَّبَعَ مَعَ الْقُرَاءِ وَاتَّجِهَ
إِلْبَسَ بَيَاضًا وَقَبَلَ الدَّخْلَ فَافْتَحَ
آدَابُهَا جَمَّةٌ تُوحِي بِتَجْرِبَةٍ

760

765

فِي رَنَّةٍ تَأْسِرُ الْأَلْبَابَ بِالنَّبَضِ
وَلَيْسَ لِقَلْقَلَةٍ يُتَلَى بِلاَ غَرَضٍ
يَأْتِي عَلَى خَيْمَةِ الشَّيْطَانِ بِالدَّحَضِ
وَالرُّوحُ تَسْرِي مَعَ الْأَمْلاَكِ فِي الرِّبْضِ¹
كَمْ نَاشِئٍ أَمَّهَا مِنْ دُونِمَا مَضَضِ
وَنَبْعُهُ فِي سَوَى الْإِحْسَانِ لَمْ يَفِضِ
جَحَافِلُ الضَّبْطِ ذُخْرٌ غَيْرُ مُنْقَرِضِ
فِي أَصْغَرِ الْهَوْنِ بِالتَّنْزِيلِ فَامْتَعِضِ²
هَيَّا بُنْيَ لَصَفِّ السَّبْقِ وَالرَّكُضِ
مِنْ بَعْدِهِ فِي فُنُونِ الشَّرْعِ فَلْتَخُصِ
بِالْحِفْظِ يَنْقُلُهُ بَعْضٌ إِلَى بَعْضِ
إِهْدَا وَحَسِّنْ جُلُوسَ الْأَرْضِ وَانْقَبِضِ
اقْرَأْ بِجِدٍّ وَغَيْرِ الدِّكْرِ فَاعْتَزِضِ
لَيْسَتْ نِظَامًا أَتَى يَوْمًا عَلَى عَرَضِ

¹ - جمعها أرباض وهي المساكن وما حولها.

² - من الامتناع وهو الانفعال، مع شيء من الإحساس المؤلم.

مَوَاسِمٌ خُصِّصَتْ جَوَائِزُ رُصِدَتِ 770 تَخْلُو بِطُعْمِ إِدَامِ اللَّحْمِ وَالْقَضَضِ¹
 الْخُبْزِ وَالتَّمْرِ وَالْإِحْسَانُ مُخْتَلِفٌ
 اتُّنِيبُهُ فِي قِصَّةِ التَّخْفِيرِ مُبْهَرَةٌ
 إِسْأَلُ تَعَلَّمَ وَلَا عَيْبٌ يُلَاحِظُكَ
 نَهْجٌ مَجَالِسِنَا عِنْدَ مَعَارِبَةٍ
 أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ نُجُومِ الْحِفْظِ نَذَكُرُهُمْ 775
 فِي مَنْظَرٍ مِنْ بَيَاضِ الثَّوْبِ تُغِيطُهُمْ
 إِنْ شِئْتَ تَرْبِخَ مِنَ الرَّحْمَنِ فَاقْتَرِضِ
 فِي حِلَّهَا قِصَّةُ دَاعٍ وَمُعْتَرِضِ
 لَكِنْ تَحَفَّظْ مِنَ التَّسْنِيفِ وَالرَّفْضِ
 مُسْتَحْسَنُ الْقَصْدِ لَا تَنْبُشْ وَلَا تَخْضِ
 وَقَدَرُهُمْ ظَلَّ عَالٍ غَيْرَ مُنْخَفِضِ
 مَنْ يَرْتَضِي مِنْهَجَ الْإِلَهِ عَنْهُ رَضِيَ

4-تَرْبِيَةُ النَّاشِئَةِ الرَّاقِيَةِ [26]

تَرْبِيَةُ الطِّفْلِ فَنٌّ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ
 أَبْنَاؤُنَا مَضْرِبُ الْإِحْسَانِ فِي الْمَثَلِ
 مَنْ فَرَطَ مَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَمَطٍ
 وَالْمَدْحُ لَيْسَ كَلَامًا قِيلَ فِي عَبْطٍ²
 أَمْزَابُ كَانَ قُصُورًا غَلَقَهَا حَدَسٌ
 وَالْفَتْحُ فِي يَوْمِنَا حَلٌّ مَعَ الْحَوَظِ³

¹ - أكل اللحم أو الطعام، مع بقاء فتات عظم ونحوه يخرج من الفم.

² - من الاعتباط، وهو قيام بعمل أو توقُّف عنه بدون علَّة أو سبب أو مُبَرَّر.

³ - الحدس النظر بدقَّة في معاني الأمور، والحَوَظُ من الحيطة والحياطة، وهي الاهتمام بحذرٍ لتجنُّب مكروهه.

بَيُّوتُنَا مَفْخَرٌ مِنْ كَثْرَةِ الْوَلَدِ 780
 الْدِّينُ أَكْرَمَنَا وَالْغَرْبُ سَقَّهَنَا
 الْبَيْتُ بِالْأَدَبِ كَالْأُفُقِ تَحْسَبُهُ
 أَوْلَادُنَا شُعْلَةً بِالصَّبْرِ نَحْفَظُهَا
 الْأُمُّ نَحْمِلُهَا وَنَحْدُمُ أَبْنَاءَ
 أَبْنَاؤُنَا قَدْ بَنَوْا لِلْبِرِّ أَعْمِدَةً 785
 تَرْبِيَةً مِنْ حَبَاكِ الدِّينِ قَدْ نُسِجَتْ
 فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فِي التَّبْدِيلِ وَالنَّظَرِ
 فِي النَّوْمِ وَالْعَسَلِ فِي الْمِرْحَاضِ وَالنَّجَسِ
 فِي كُلِّ شَيْءٍ لَنَا مِنْ أَصْلِهِ أَدَبٌ
 الْكُلُّ فِي صُنْعِهَا بِالْحَزْمِ مُتَّفِقٌ 790
 تَرْبِيَةُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ مَسْأَلَةٌ
 الضَّرْبُ كَانَ سِلَاحَ الْخَوْفِ لَمْ يُفِدْ
 فَاقْرَأْ عَنِ الْمُصْطَفَى فِي الْكُتُبِ وَانْبَسِطِ
 إِذْ عَمَرَ الْبَيْتَ بِالنُّبَاحِ وَالْقَطَطِ
 مُتَّسِعًا، وَهُوَ فِي مُسْتَصْغَرِ النُّقْطِ
 كَالذُّخْرِ نَحْسِبُهُمْ فِي الْعَجْرِ وَالْجَلَطِ¹
 طَوْعًا وَكَرْهًا، وَدَيْنُ الْحِضْنِ لَمْ يُحِطِ
 لَمَّا بَنَى الْغَيْرُ دُورَ الْعَارِ وَالسَّخَطِ 785
 كَمِثْلِهَا أَحْدَثُ الْأَلَاتِ لَمْ تَخِطِ
 فِي السَّيْرِ وَالرَّكْبِ فِي التَّعْبِيرِ وَاللَّعَطِ
 فِي الْجَارِ وَالْحَقِّ فِي الْأَمْوَالِ وَاللُّقْطِ
 تَرْبِيَةً لِسَوَى الْأَفْذَازِ لَمْ تُنْطِ
 فَارْذَهَرَتْ زَهْرَةُ الْأَخْلَاقِ فِي الْوَسْطِ 790
 تُبْنَى عَلَى مُسْتَوَى الْإِدْرَاكِ، فَلْتَحِطِ!²
 إِلَّا مَعَ الْعَقْلِ وَالْإِشْفَاقِ فَانْضَبِطِ

¹ - أصلُ الجَلَطِ؛ النزغُ والقشُرُ في الجلد والرَّاسِ وغيرِهما، ومن استعملاته المعاصرة: الجلطة الدِّمَوِيَّة، وهي أحوالٌ عموماً تعَبَّرُ عن عُمر الإنسانِ وكِبَرِهِ.

² - في الحقيقة منهجُ التَّخْوِيفِ بعذاب النَّارِ الْآخِرِيِّ يَنْبَنِي عَلَى فَهْمِ الصَّغِيرِ لِهَذَا الْأَمْرِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ وُجُودَ نَسْبَةٍ مِنَ الْإِدْرَاكِ لَا يَخْلُو وَلَوْ مَعَ بُلُوغِ الطِّفْلِ لِسِتْنَيْنِ، فَعَلَيْنَا الْإِحَاطَةَ بِقِيَمَةِ هَذِهِ التَّرْبِيَةِ ثُمَّ تَفْعِيلُهَا بَعْدَ ذَلِكَ.

وَالضَّرْبُ أَصْلٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَانْتَبِهْ
 تَرْبِيَّةٌ مَنْ خَلَا فِي الْأَصْلِ مُعْجَزَةٌ
 أُفٍّ؛ لِجِيلِ الدَّلَالِ بَاعِثِ الْفَشَلِ 795
 الْإِبْنُ نُجْهَدُهُ كَيْ يَلْعَقَ الصَّيْرَا
 كَمْ خَلَدَ الْجِيلُ مِنْ زَهْوٍ وَمِنْ لَعَبٍ
 أَقْبَلَ بُنَيَّ عَلَى الْأَصْحَابِ وَانْفَتَحَ
 وَهَكَذَا كَانَ سَيْرُ الطِّفْلِ؛ نَحْرُسُهُ
 أَبْنَاؤُنَا فِي صُفُوفِ الْعِلْمِ قَدْ بَرَعُوا 800
 الشَّانُ يَغْلُو بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالْأَدَبِ
 وَالْبِنْتُ نُسَعِفُهَا فِي الْبَيْتِ نَصْنَعُهَا
 لَكِنَّهُ مَنَّهُجٌ قَدْ سِيقَ فِي غَلَطٍ
 لَكِنْ إِعَادَتُهَا مِنْ أَكْبَرِ الْغَلَطِ
 اخْشَوْشُوا لَيْسَ خَيْرُ الْأَرْضِ بِالْعَبَطِ
 اْعْمَلْ لِمُسْتَقْبَلٍ، شَمِّرْ إِلَى الْإِبْطِ
 بُنَيَّ فِي رَحْمَةِ الْأَلْعَابِ فَاَنْحَرْطِ
 زَا حِم تَعَلَّمْ مِنَ الْأَخْيَارِ وَارْتَبِطِ
 نَحْمِيهِ مِنْ زَلَّةِ الْأَخْطَاءِ وَالشَّطَطِ
 مِنْ بَعْدِ تَرْبِيَةٍ فِي الْبَيْتِ، فَاغْتَبِطِ 800
 وَتَاجُهُ بِهَجَّةِ النَّجَاحِ وَالنُّقْطِ
 بُنَيَّتِي فَاحْفَظِي الْأَخْلَاقَ، وَاقْتَسِطِي

5- حَوْلَ تَنْشِئَةِ الْبِنْتِ [08]

كَمْ نَحْوُ تَرْبِيَةِ الْبَنَاتِ مِنْ لَحَظٍ
 الْبِنْتُ مَدْرَسَةٌ لَوْ لَقِنْتُ أَدَبًا
 بُنَيَّتِي فَاحْذَرِي الْأَشْرَارَ وَانْتَبِهِي 805
 فَلْتَكْفِنَا هَمْسَةَ الْإِرْشَادِ وَالْوَعْظِ¹
 أُمَاهُ دُومِي عَلَى التَّكْوِينِ وَاحْتَفِظِي
 اخْتَشِمِي وَالزَّمِي الْحِجَابَ وَاتَّعِظِي

¹ - لحظ: من الملاحظة والمراقبة للشيء، مصدرٌ لاحظَ يلاحظُ لَحَظًا وَلَحَظَانًا.

فِي كُلِّ فَنٍ لَهَا قَدْ أَتَقَنَتْ دُرُرُ
 الْعِلْمِ حَقُّ لَهَا؛ وَالشَّرْطُ تَعْلُمُهُ
 أَمْزَابُ لَمْ يَخُلْ مِنْ قَامَاتٍ مَفْخَرَةٍ
 قَدْ كَانَتْ الْبِنْتُ فِي دِيَارِنَا عَبَقًا
 إِنْ كُنْتَ تَرَعَى بَنَاتِ الطُّهْرِ مُحْتَسِبًا 810
 النَّشْءُ يَرْقَى عَلَى السُّؤَالِ وَاللَّحْظِ
 كَمْ كَانَ أَسْلَافُنَا فِي مَسَلِكٍ يَقِظُ¹
 فَمَنْ عَلَى مَنَهِجٍ -وَاللَّهُ- مُحْتَظِظُ
 لَيْسَ لَدَيْنَا مَعَ الْبَنَاتِ مِنْ غَيْظِ²
 فَاللَّهُ يَحْمِيكَ يَوْمَ الْحَشْرِ مِنْ قَيْظِ³

6- أَلْيَاتُ التَّرْبِيَةِ الْإِجْتِمَاعِيَةِ [26]

مُجْتَمَعُ الْعِزِّ يُبْنَى فَوْقَ مُرْتَفَعِ
 أَمْزَابِ مُجْتَمَعٍ تَحْكُمُهُ نُظُمُ
 حُرِّ كَرِيمٍ سَلِيلُ الْحَقِّ مُنْتَصِرُ
 أَبْنَاؤُهُ نَزْعَةٌ فِي الْخَيْرِ تَجْمَعُهُمْ
 مِنْ قِيمِ الْفِكْرِ وَالْأَعْمَالِ فَاضْطَلَعَ⁴
 تَضْبِطُهُ سِيرٌ بِالطَّوْعِ وَالرَّدْعِ
 فِي كُلِّ شَأْنٍ؛ وَحَقُّ الْعَيْشِ لَمْ يَدَعْ⁵
 بِالْجِدِّ تَحْسِبُهُمْ؛ كَالصَّحْبِ فِي الْبَيْعِ⁶

¹ - مشكلة تعليم البنات قائمة إلى اليوم، تتفتح بقوة تحت ضغوطات وترسبات فرضت عليها، وكان أساس ذلك كله إن وجد شرط حفظ حجابها ودينها تآمراً وإلاً فسيأتيها دُبُّها وعلمُها إلى بيتها، ورحمَ الله ذلك الزمن.

² - من الغيظ وهو الشدة القلبية، وهنا إشارة إلى أننا قد نشترك مع فئات إسلامية في عفاف المرأة، لكن تبقى المرأة المزايبة مكترمة عن أية إهانة، وبالمقابل هي ترى جوهره نفسية لم تمسها الأيدي.

³ - القَيْظُ شدة الحر، ونكني به عن عذاب جهنم.

⁴ - من الاضطلاع بالشيء وهو القوة على القيام والتهوض به.

⁵ - سليل الشخص ابنته أو فرد ما من نسله.

⁶ - جمع بيعة، وقد كانت البيعة رمزاً للتأييد والتصرة في زمن الرسول ﷺ وصحبه الكرام.

السَّمْعُ دَيْدُنَا وَالرَّأْيُ يُصْدِرُهُ 815 مَنْ كَانَ فِي زَحْمَةِ الْمَيْدَانِ؛ فَاتَّبَعَ
الْعُمْرُ فِينَا وَسَامَ الْقَدْرُ نَرْفَعُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ نُقْصِيَ الْأَكْفَاءَ بِالطَّبَعِ
الشَّيْخُ يَحْنُو إِلَى الْأَحْدَاثِ يَغْمُرُهُمْ وَالنَّشْءُ يَرْقَى بِحُسْنِ السَّمْعِ وَالْوَزَعِ¹
الْكُلُّ مُجْتَهِدٌ فِي حِفْظِ مَصْلَحَةِ كُلِّ، وَلَيْسَ جَمَالُ الثَّوْبِ فِي الرُّقْعِ
السُّوءُ فِي بَعْضِنَا سُقْمٌ يُؤَرِّقُنَا يَأْتِي عَلَى كَامِلِ الْأَرْكَانِ بِالْوَجَعِ
تَكَافُلٌ فِي عُرَى الْإِحْسَانِ مُنْتَظَمٌ 820 فِي كُلِّ لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ لَمْ يَضِعْ
نَفَائِسٌ مِنْ رِجَالِ الْخَيْرِ نَعْلَمُهُمْ عَشَائِرُ تَخْدُمُ اللَّهْفَانَ لَمْ تُبْعِ²
وَمَجْلِسٌ قَدْ حَوَى الْأَطْيَافَ يَرْبِطُهُمْ مَا أَضْيَعَ الْقَوْمَ فِي شَقٍّ وَفِي شَيْعِ
وَبَذَرَةُ الشَّرِّ فِي تُرَابِهَا عَفْنَتْ فَالْأَرْضُ قَدْ صَلَحَتْ بِالْحُبِّ وَالْوَرَعِ
الْخَيْرُ أَقْوَى مِنَ الْأَشْرَارِ وَالْخُدَعِ لَكِنَّ صَاحِبَهُ قَدْ ظَلَّ فِي خَنَعِ
رِجَالُنَا لَمْ تَكُنْ بِالْعَفْوِ تَرْتَجِفُ 825 الْخَوْفُ تَصْنَعُهُ بَرْدًا عَلَى السَّيْبِ³
كَانَتْ لَدَيْنَا بَطُولَاتٌ مِنَ الْحَدَثِ كَيَانُنَا لَمْ يَكُنْ يَوْمًا بِمُنْخَضِعِ
أَجْدَادُنَا مَضْرِبٌ صِدْقٌ عَلَى الْعَمَلِ عَرَفَهُمْ قَدْ سَقَى أَرْضًا عَلَى وَسَعِ

¹ - من قولنا الوازع الدِّبْنِي ونحوه، وهو المتحكِّم الدَّاخِلِي فِي الْفَرْدِ، إِشَارَةً إِلَى انْدِفَاعِ الشُّبَابِ الْخَاطِئِ أحيانًا.

² - سلف الحديث باستفاضةٍ عن العشائر، وهي لم تكن ديارًا إِلَّا بَعْدَ الْاِسْتِقْلَالِ، وَمَقْصُودُنَا إِشَارَةً بِأَنَّهَا تَعَرَّضَتْ لِمَسَاوِمَاتٍ وَمَحَاوَلَاتٍ إِسْقَاطٍ، ثُمَّ نَشِيرُ فِي الْبَيْتِ الْمَوَالِي لَجْنَسِ مَجَالِسَ عِدَّةٍ تَخْدُمُ مَصَالِحَ الْأُمَّةِ.

³ - المراد بالعفو هنا الشيء المأخوذ من غير قصدٍ ولا تسببٍ.

بَطَالَةُ الْيَوْمِ فِي التَّارِيخِ قَدْ بَطَلَتْ
مَصَالِحُ الْعَرْشِ بِالْإِحْسَانِ قَدْ نَهَضَتْ
الْمَالُ لَيْسَ قِوَامُ الْفِعْلِ فَاثْبَتِهِ
إِخْوَانُنَا سَنَدٌ فِي الْهَمِّ وَالْفَرَحِ
قَدْ انْتَهَتْ قِصَّةُ الْغَزَالِ مَعَ أَسَدٍ
فَانْهَضَ وَكُنْ لِلْأَمَامِ الْعُمَرُ مُنْدَفِعًا
وَاحْفَظْ كُنُوزًا مِنَ الْمِيرَاثِ قَدْ خَرِبَتْ
قَدْ تَخْتَفِي الشَّمْسُ عَنْ أَعْمَى فَيُنْكِرُهَا
امْزَابُ لَيْسَ مَلَكَ النُّورِ نَعْرِضُهُ

830

835

مِنْ صَوْلَةِ الْعَزْمِ لِلْأَشْغَالِ فَاثْبَتِ¹
فِي كُلِّ قُطْرٍ بِلَا ذُلٍّ وَلَا تَبَعٍ
مَا لَمْ تَكُنْ وَحْدَةً الْإِخْوَانِ فِي الْجَزَعِ
مَنْ أَجَلَ حِفْظِ الْإِخَا كَالْبَحْرِ فَاتَّسَعَ
مُنَاطِحًا خَلَهُ مِنْ شِدَّةِ الشَّبَعِ
قَدَّمَ كَمَا قَدَّمَ الْآبَاءُ؛ وَابْتَدَعَ
عَنْ كُلِّ غِلٍّ عَلَى الْأَجْدَادِ فَاثْبَتِ
فَتَفَضَّحَ الْحُمُقَ بِالْإِحْرَاقِ وَالسَّطَعَ
لَكِنَّهُ قَدْ غَوَى النُّظَارَ بِاللَّمَعِ

7-التَّعْلِيمُ وَالتَّدْرِيسُ وَالْحَلَقَاتِ [24]

الْعِلْمُ تَحْيَا بِهِ الْقُلُوبُ فَلْتَدَعِ
أَعَزُّ عِلْمٍ عُلُومُ الشَّرْعِ حَيْثُ بِهَا
وَالْعِلْمُ مَهْمَا يَكُنْ؛ فِي طَيْهِ عَبَقُ

مُسْتَنْقَعًا مِنْ صُرُوفِ الْجَهْلِ وَالْمَتَعِ
نَجَاتُنَا فِي سُؤَالِ الْحَشْرِ وَالْهَلَعِ
يُرْضِي الْإِلَهَ مَعَ الْإِحْلَاصِ وَالنَّفْعِ

¹ - اسم مَرَّةٍ مِنْ صَالٍ، فيقال: فلانٌ ذو صَوْلَةٍ: ذو نفوذٍ وسطوةٍ، والمراد، اختطف العمل وبادر.

أَشْيَاخُنَا سَبَّلُوا لِلْعِلْمِ أَنْفُسَهُمْ
 كَمْ عَالِمٍ قَدْ أَبَى الْأَمْوَالَ وَأَنْصَرَفَا
 قَدْ وَاجَهَ الشَّرَّ وَالْإِضْرَارَ، وَاصْطَبَّرَا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُمْ شَأْنٌ مَعَ الْكُتُبِ
 مَعَاهِدٌ وَدِيَارُ الْعِلْمِ قَدْ فُتِحَتْ
 كَمْ رَاحِلٍ وَادَعِ الْأَحْبَابَ وَانْقَطَعَا
 الشَّيْخُ يَحْظِي بِشَأْنِ الْعِلْمِ مُرْتَقِيَا
 كَمْ كَوَّكِبٍ حَوْلَ شَمْسِ الْعِلْمِ مُنْتَظِمِ
 فِي حَلَقَةِ الْعِلْمِ فَيْضُ النَّهْرِ مِنْ أَدَبِ
 فِي جَلْسَةِ الدَّرْسِ، فِي الْإِنْصَاتِ وَالنَّظَرِ
 عَقِيدَةُ الْحَقِّ، وَالْقُرْآنُ، مُنْطَلَقُ
 مَنْ ضَيَّعَ الشَّرْطَ فِي تَعْلِيمِنَا هَلَكَ
 تَطَوَّرَ الْعِلْمُ فِي زَمَانِنَا وَسَحَرَ
 الطِّفْلُ وَالْبِنْتُ وَالْكَهْلُ وَمُنْهَرِمُ
 الْفَخْرُ فِينَا مَعَ الْأَيَّامِ يَزْدَهَرُ

840

845

850

بِفَضْلِهِمْ شُعْلَةُ الْإِحْسَانِ لَمْ تَضِعِ
 لِلْعِلْمِ؛ يَأْبَى حَيَاةَ الْجَهْلِ وَالْبِدْعِ
 مَعَ فِتْيَةٍ مِنْ زُهْورِ الْحَدَقِ؛ فَاسْتَمِعِ
 وَشَمْسُهُمْ تُبْهِرُ الْعُشَّاقَ فِي الْجَمْعِ
 فِي كُلِّ قَصْرِ مَعَ الْإِطْعَامِ وَالْهَجْعِ¹
 لِلْعِلْمِ فِي لَوْعَةِ الْهَيَامِ وَالْجَشَعِ²
 مِنْ خَيْرَةِ الصَّحْبِ وَالطُّلَّابِ فِي وَلَعِ
 قَدْ أَوْصَلَ النُّورَ حَيْثُ النُّورُ لَمْ يَشِعِ
 مَا أَسْوَأَ الْبَيْضِ فِي لَطَخٍ مِنَ الْبُقَعِ
 فِي اللَّبْسِ وَالْحَلَقِ، فِي أَكْلِ وَمُضْطَجَعِ
 وَالسَّمْعِ وَالْجِدِّ وَالسُّؤَالِ بِالتَّبَعِ
 الْوَقْفُ دَيْنٌ لَغَيْرِ الْأَصْلِ لَمْ يَسَعِ
 فَالْكُلُّ فِي بَابِهِ بِالْحُبِّ وَالِدَفْعِ
 وَالِدَّارُ قَدْ سَرَّحَتْ أُمًّا وَلَمْ تَدَعِ
 لَكِنْ لَدَيْنَا عُيُوبُ الْخَلْقِ؛ فَاطْلِعِ

¹ - الهجوع النوم بالليل خصوصاً، وفي القرآن: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: 17].

² - اللوعة من اللوع وهو حُرقة الحزن والحب الشديد والوجد نحو شيء، والهيام شدة في الشغف والحب.

الْعِلْمُ فِي عَصْرِنَا قَدْ شَابَهُ الْعَفَنُ 855 فَكُرًّا وَخُلُقًا عَلَى سَفَلٍ وَمُنْخَدَعِ
الطِّفْلِ فِينَا يَدُوسُ الْأَكْلَ بِالشَّيْبِ وَالْبِنْتُ جَنَّبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ الضَّبِّ
الْغَرْبُ يُمْلِي عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهَجَهُ اتَّبِعْ وَقَلِّدْ وَبِالتَّطْيِيعِ فَاقْتَنِعْ
تَعْلِيمُنَا الْيَوْمَ كَالْبَحَارِ يَنْفَلِتُ وَتَرَسَّخْ قِيَمَةُ السَّرْوَالِ وَالْقَرْعِ
أَكْرَمَ بِمَنْ فَازَ بِالْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ مِنْ بَعْدِهَا لَمْ يَهْنُ عِلْمًا وَلَمْ يَدَعْ
أُولَئِكُمْ قِلَّةٌ لَمْ تَنْقُطِعْ أَبَدًا 860 وَالْخَيْرُ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَضِعْ

8- الْعَمَلُ وَاجْتِسَابُ الْخَيْرَاتِ [14]

الشُّغْلُ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ مِنَ الصَّيَغِ وَالْكَسْبُ يَصْنَعُهُ قَدْرٌ مِنَ النَّبَغِ¹
أَمْزَابُ مُجْتَمَعٍ قَدْ غَاصَ فِي الْحَرْفِ لَمْ يُهْمَلْنَ مِهْنَةً كَلًّا وَلَمْ يُسْغِ
مُجْتَمَعٌ قَدْ أَتَى الْأَعْمَالَ فِي الْعَنَتِ لَمْ يَرْضَ عَيْشَةَ التَّكْسِيلِ وَالْمَرْغِ
قَدْ كَانَ جَدِّي يُدِيرُ السَّقْيَ مِنْهُمْ كَا فِي أَرْضِهِ مَعَ ظُرُوفِ الشَّمْسِ وَاللَّدَغِ
الْحُبُّ يَغْمُرُهُ وَاللَّحْنُ يَأْسِرُهُ 865 وَيَقْهَرُ الْكُرْهُ فِي دَفْعٍ وَفِي دَمَغٍ²
فِي نَهْجِهِ قَدْ حِينَا الْيَوْمَ نَفْتَحِرُ بِالْجُهْدِ لَمْ نَنْعَظِلْ يَوْمًا وَلَمْ نَزِغْ

¹ - النبغ: من نبغ ينبغ نبوغًا ونبغًا، إذا صار ذا شأنٍ ببرزوه.

² - من دمغ يدمغ، دمغًا، فهو دامغ، إذا دفع وأزهق وشجّ ونحو ذلك بقوة.

الطَّيْنُ نَعَجْنُهُ وَالصَّلْبُ نَكْسِرُهُ
اللَّطْخُ وَالْخَدَشُ وَالتَّوْسِيخُ نَقْبَلُهُ
الطَّفْلُ وَالشَّيْخُ وَالتَّسْوَانُ وَالتُّجِبُ
بِالْجُهْدِ وَالْحُبِّ وَالْإِقْدَامِ فِي نَفْسِ 870
الْمَالِ لَنْ يَكْسُو الْحَيَاةَ رَوْقَهَا
كَمْ عَاطِلٍ ضَيَّعَ الْإِقْدَامَ قَدْ سَقَطَا
مَهَارَةً فِي يَدٍ كَنْزٌ وَمُدَّخَرٌ
فِي كُلِّ فَنٍّ وَشُغْلٍ خَبْرَةٌ خَفِيَتْ

وَالْحَرُّ نَصِيرُهُ مِنْ لَحْظَةِ الْبَزَغِ¹
لَنْ نُكْرِمَ الذَّاتَ لَوْ فِي السَّلَخِ وَالْدَبَغِ
الْكُلُّ فِي هِمَّةٍ مِنْ غَيْرِ مَا فَرَعِ²
كَمْ خَبْرَةٌ قَدْ غَدَتْ كَالْكَسْبِ لَوْ تَصْغِ
كَمْ مِنْ غَنِيٍّ يُعَانِي الْمُرَّ فِي الْمَضْغِ
فِي حَمَاءِ السُّوءِ فِي سُكْرِ وَفِي تَبَغِ³
تَجْنِي بِهَا مَكْسَبًا؛ فَافْهَمْ وَلَا تَزِغِ
فَابْحَثْ تَجِدَ حِكْمَةً فِي أَعْجَبِ الصَّيْغِ

9-الثَّقَافَةُ الْمَالِيَّةُ وَالْاِقْتِصَادِيَّةُ [28]

الْمَالُ سِحْرٌ يَمْسُ الْمَرْءَ فِي الشَّرَفِ 875
مُجْتَمَعُ أَمْزَابٍ فِي الْأَمْوَالِ مَدْرَسَةٌ
الْمَالُ لِلطِّفْلِ مَمْنُوعٌ إِلَى الرَّشَدِ

فِي الْجَمْعِ وَالشُّحِّ وَالنِّزَاعِ وَالشَّغَفِ
كَمْ خَلَلَتْ مِنْ دُرُوسِ الْحِرْصِ وَالطُّرْفِ
كَمْ أَفْسَدَ الْمَالُ مِنْ طِفْلِ عَلَى نُتْفِ

¹ - من بزغ يبزغ بزوغًا وبزغًا، إذا أشرق، ونشيزُ هنا إلى طلوع الشمس.

² - الفرغُ من الخلوِّ عكس امتلاء الوقت بما يفيد.

³ - نبات حَوْلِيٍّ مَرَّ الطعم من الفصيلة الباذنجانية، يُجَفَّفُ ثم يُتَعَاطَى تَدَخِينًا وَسَعُوطًا وَمَضْغًا، ويكثر استعماله في صناعة السيجار والسيجارة، ومنه نوع يزرع للزينة.

الْمَالُ فِي الْبَيْتِ مَجْهُولٌ وَمُسْتَتَرٌّ
 وَنَحْسِبُ الْفُلْسَ فِي الْإِعْطَاءِ نَضْبِطُهُ
 لَطَائِفٌ قَدْ بَنَتْ فِي النَّشْءِ مُنْطَلَقًا
 مَا يَكْسِبُ الطِّفْلُ مِنْ مَالٍ يُقَدِّمُهُ
 آهًا، لِمَنْ يَسْرِقُ الْأَمْوَالَ بِالْحِيلِ
 تَرْبِيَةُ النَّشْءِ أَمْرُ اللَّهِ نَفْعُهُ
 أَنْتَ وَمَالُكَ فِي الْهَدْيِ؛ تُعَلِّمَنَا
 شَبَابُنَا قَدْ كَفَى الْأَبَاءَ مَسْغَبَةً
 الْبَذْلُ مِنْهُمْ؛ مِنَ الْأَمْوَالِ نَحْسِبُهُ
 قَدْ حَصَّنُوا عَرْضَهُمْ فِي زَحْمَةِ الْعَمَلِ
 الْبَيْتُ فِي امْزَابٍ بِالْإِحْسَانِ قَدْ نَهَضَا
 وَتَبَدَّأَ شَارَةَ السِّبَاقِ فِي عُمْرِ
 الشَّبْرِ يَدْرُسُهُ وَالرِّبْحُ يَفْحَصُهُ
 وَيَهْجُرُ الْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ مُغْتَرِبًا
 وَيَطْرُقُ الْبَابَ وَالْحَلَالَ يَلْحَقُهُ
 وَيَسْأَلُ الْفَقْهَ، وَالثَّرَاءَ يَرْفُضُهُ

880

885

890

حَتَّى نَعِينَ الْفَتَى فِي الطَّيْشِ وَالضَّعْفِ
 وَالصَّرْفِ نُوصِي بِهِ الْوَلَدَانِ فِي لَفِ
 كَيْ يَفْقَهُ مُشْكَلَ الدِّينَارِ وَالتَّلَفِ
 يُشِيرُ فِيهِ الْأَبُ بِالْحِفْظِ وَالْهَدَفِ
 الْمَالُ مَالُ الَّذِي قَدْ جَدَّ فَاغْتَرَفِ
 مِنْ غَيْرِ مَا مَطْمَعٍ فِي الْمَالِ وَالتَّرَفِ
 تَحَاوَرًا فِي ظُرُوفِ الْعَيْشِ، فَاخْتَرَفِ
 وَوَفَّرَ الْمُرْتَضَى لِلْعُرْسِ وَالْعُرْفِ
 فَاخْفِظْ لَهُمْ عَزَمَهُم بِالْحَقِّ، وَانْتَصِفِ
 كَمْ اتَّقَنُوا مِنْ صُنُوفِ الشُّغْلِ وَالْحَرْفِ
 لَمْ يَنْقَسِمِ فِي فِضَاءِ الْمَالِ وَالسَّرَفِ
 الشَّابُّ فِيهِ عَلَى الْإِقْدَامِ لَمْ يَخَفِ
 وَيَتْرُكُ الْبَيْعَ فِي كُرْهِهِ وَفِي حَلْفِ
 الْمَالِ لَمْ يَجْتَمِعْ يَوْمًا عَلَى الصَّدْفِ
 حَتَّى وَلَوْ كَانَ بَيْعَ الْفَحْمِ وَالْعَلْفِ
 إِلَّا إِذَا شُبْهَةُ الشَّيْطَانِ لَمْ تَطْفِ

وَيَضْبُطُ الْحَوْلَ لِلْمَسْكِينِ، لَمْ يَدَعْ
الْمَالَ يَبْذُلُهُ لِلَّهِ بِالْفَرَحِ
جَدِّي الْمَزَابِيُّ بِالْأَمِينِ قَدْ وُصِفَا
هَذِي الْمَعَانِي عَلَى الْحُسَادِ قَدْ خَفِيتُ
قَدْ أَفْسَدَتْ نَزْعَةُ الدِّينَارِ فِي الْحَلْفِ
السِّتْرِ وَالْبَذَلِ وَالْحَلَالِ وَالْحَذَرِ
وَالدَّيْنِ وَيَلٌ عَظِيمٌ قَدْ بُلِينَا بِهِ
الْمَالُ قَدْ أَنْهَكَ الْأَجْسَامَ بِالْجَشَعِ
الرِّزْقُ بِاللَّهِ وَالْأَسْبَابُ وَاجِبَةٌ

895

وَجْهًا مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ فِي طَرَفِ
وَيُخْلِفُ اللَّهُ بِالْأَضْعَافِ وَالشَّرَفِ
مَعَ كُلِّ شَخْصٍ وَلَوْ فِي الْبُعْدِ وَالنُّتْفِ
وَالْجَهْلِ يُرْذِي إِلَى الْعُدْوَانِ وَالْقَرْفِ¹
بَعْضَ الْأَسَاسِ الَّذِي قَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ
وَانْفَجَرَتْ ثَوْرَةُ الْعُمَرَانِ وَالتُّحَفِ
حَتَّى غَدَا مِنْهَجًا لِلتَّهَبِ، فَلْتَقِفِ
وَأَنْدَفَعَ النَّاسُ لِلدُّنْيَا عَلَى فُرْطِ²
عِشَ بِالرِّضَا، فَوْقَ قَدْرِ الرِّزْقِ لَمْ يُضَفِ

900

10- حَوْلُ الْعُمَرَانِ وَالْمَدِينَةِ وَالتَّعَايُشِ [22]

إِنْ شِئْتَ تَحْيَا قَرِيرَ الْبَالِ فَلْتَشِقِ
أَمْزَابُ قَدْ أَبْهَرَ السُّيَاحَ فِي نَسَقِ

مَهْمَا تَكُنْ أَنْتَ عِنْدَ الْغَيْرِ فِي غَدَقِ
يَبْدُو لَدَى الْوَهْلَةِ الْأُولَى بِلَا أَلْقِ

¹ - من المقارفة والافتراف، وهي تحمل الفعل والإتيان به حسنا كان أو سيئا.

وأشرنا في مطلع الإلياذة إلى جملة من الأوصاف الخاطفة في حق الفرد المزابي، وبيننا الصواب فيها، وهذه منها.

² - اسم مفرد بمعنى متروك ومضيق، وفيه معنى مجاوزة الحد وفي القرآن: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: 28].

فِي كُلِّ هُنْدَسَةٍ قَصْدٌ حَفَى نَطَقَا 905 يَسْعَى إِلَى خِدْمَةِ الْإِنْسَانِ بِالرَّفَقِ
 الْقَصْرُ فِي امْزَابٍ قَصْرُ الْأَمْنِ قَدْ قَوِيَا
 وَالْمَسْجِدُ الْفَخْرُ يَعْلُو قِمَّةَ الْهَرَمِ
 اللَّهُ أَكْبَرُ أَعْلَى الصَّوْتِ فِي الْبَلَدِ
 مِثْدَنُهُ يَعْشَقُ النُّظَارَ مِنْظَرَهَا
 مَسَالِكُ حَسْبِ قَدْرِ النَّاسِ لَمْ تَزِدْ 910
 الْقَصْرُ عَائِلَةٌ فِي أَكْمَلِ الصُّورِ
 مَسَاكِينُ الْقَصْرِ تُخْفِي الْفَرْقَ، تَلْتَصِقُ
 وَالْبَيْتُ مُكْتَمَلٌ فِي أَضْيَقِ الْقِطْعِ
 عَوَائِلُ نَشَأَتْ بِالْعِزِّ وَافْتَحَرَتْ
 وَالسُّوقُ فِي طَرَفِ الْعُمَرَانِ قَدْ بَعُدَا 915
 مَقَابِرُ الْبَلَدَةِ بِالْقُرْبِ قَدْ عَيَّنَتْ
 وَالْوَادُ قَدْ سَلِمَا وَالْأَرْضُ قَدْ وَسَعَتْ
 يَسْعَى إِلَى خِدْمَةِ الْإِنْسَانِ بِالرَّفَقِ
 بِالسُّورِ وَالْعَيْنِ وَالْأَبْرَاجِ وَالْحَدَقِ
 كَالْأُمِّ تَحْنُو عَلَى الْأَبْنَاءِ بِالْقَلَقِ
 يَسْعَى لَهُ الْكُلُّ كَالْفَرَّاشِ؛ فَاسْتَبَقِ
 مِنْ تَحْتِهَا تُحْفَةُ الْإِعْجَازِ فِي الطُّرُقِ
 مِنْ لَفْهًا يَسْقُطُ الْمَجْهُولُ فِي النَّفَقِ 910
 الضَّيْقُ فِي الْقَلْبِ وَالْآفَاقُ لَمْ تَضِقِ
 تَحْكِي عَنِ الصَّبْرِ وَالْإِرْفَاقِ وَالْمَلَقِ
 لِلطَّيْرِ وَالْإِنْسِ وَالْأَنْعَامِ وَالنَّهَقِ¹
 وَالْعَيْشُ خَلْفَ جِدَارِ السُّورِ لَمْ يَرُقْ
 قَدْ سَيَّرَ الْبَيْعَ فِي نُصْحٍ وَمُتَسَقٍ² 915
 فِي حِفْظِهَا قَدْ سَعَى الْأَغْيَارُ لِلرَّمَقِ³
 لِلنَّخْلِ وَالزَّرْعِ وَالْأَشْجَارِ وَالْعَبَقِ

¹ - كانت البيوت قديما على ضيقها تحوي كل هذه الأصناف والأنواع، في حياة أليفة طبيعية حرّة، مع بعض

المخاطر الصحيّة إلا أنّ الضرورة اقتضت ذلك، فربحوا أكثر من زماننا الذي فيه تضییع الأكل وعدم صناعة الثروة.

² - من الانساق وهو الانتظام والانسجام.

³ - يقال: ناضل وقاوم إلى آخر رمق، أي إلى آخر نفس، فكم كان رأي الإباضية مقلداً لكثير من الإداريين والمسؤولين وأتباعهم لمحاولة الاستيلاء على أراضٍ، وأبهر تلك المواقف مقبرة قسنطينة، فليبحث فيها.

حَتَّى طَغَتْ مَوْجَهُ الْعُمَرَانِ وَانْدَفَقَتْ
 تَتَابَعَتْ فِي حِمَى أَغْلَانِنَا نَقَمٌ
 أَغْلَانٌ يَبْكِي سُقُوطًا لَمْ يَر مَثَلًا 920
 الْأَصْلُ أَنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ نَجْتَمِعُ
 لَا تَنْدَمِجُ بَلْ تَعَايِشُ صَانِعًا قِيمًا
 الْفِكْرُ أَصْلٌ وَجِرُّ الْأَمْسِ مَعْلَمُهُ
 وَالْمَعْلَمُ الرَّمَزُ تَاجُ الْأَرْضِ فَاثْتَبِرْهُ
 وَاخْتَلَطَ الْجِنْسُ بِالْأَجْنَاسِ فِي قَلَقٍ
 طَرْدٌ وَنَهَبٌ مَعَ التَّضْيِيقِ وَالْغَرَقِ
 فِي أَرْزَمَةِ الْفِكْرِ وَالتَّخْطِيطِ وَالْفِرَقِ
 لَكِنَّا مَوْقِدٌ لِكُلِّ مُرْتَزِقٍ¹
 تَأْوِي إِلَيْكَ كِرَامُ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ
 فَلَنْبَتِكِرُ مَا يُنَاغِي الْعَصْرَ بِالنَّسَقِ
 فِي نَسْفِهِ نَسْفُ تَاجِ الْمُلْكِ فَلْتَفِقِ

11- حَوْلَ الْمُنَاسَبَاتِ وَالْأَفْرَاحِ [24]

رَوَّحَ عَنِ النَّفْسِ بِالْأَصْحَابِ وَالضَّحِكِ 925
 فِي عُرْفَا فَرْحَةٍ الْأَحْبَابِ تَرْتَبِطُ
 وَأَعْظَمُ الْفَرْحِ بِالْقُرْآنِ يَحْمِلُهُ
 وَالْوَالِدَانِ كَمَالُ النُّورِ فِي الْفَرْحِ
 مَسَاجِدُ الْقُصْرِ فِي الْأُسْبُوعِ تَحْتَفِلُ
 كَمْ فَرَجَ الْفَرْحُ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ ضَنْكٍ
 بِالشَّرْعِ لَمْ تَنْحَرْفْ يَوْمًا وَلَمْ تُلْكِ²
 صَدْرُ الْفَتَى، فَاسْتَبَقِ لِلتَّاجِ وَامْتَلِكِ
 فَارْعُهُمَا تَرْتَقِي كَالشَّمْسِ فِي فَلَكِ
 بِالْخَتَمِ، فِي مَنْسَجِ الْبَيَاضِ كَالْحُبُكِ³

¹ - المرتزقة تسمية جديدة يراؤ بها المحاربون مع جنود ليسوا من أصل البلد طلباً لريح مادي.

² - مِنْ لَأَكْ يُلُوكْ، أَي جَعَلَ الشَّيْءَ وَفَقَّ مَا يَحْلُو لَهُ.

³ - مِنْ حَبَكِ الشَّيْءِ: شَدَّهُ وَأَحْكَمَهُ، وَفِي الْقُرْآنِ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: 07].

وَفَرَحُهُ الصَّوْمُ وَالْإِفْطَارِ نَصْنَعُهَا 930 مِنْ مَسْجِدٍ فِي كَلَامِ اللَّهِ مِنْهُمْ
يَا فَرَحَهُ بِقُدُومِ الْعِيدِ قَدْ كَمَلْتُ بِالْأَهْلِ وَالْحُبِّ وَالْأَلْوَانِ فِي فَمِكَ!!
وَبَهْجَةِ النَّخْرِ وَالْحُجَّاجِ قَدْ غَمَرْتُ عَيْنِي دُمُوعًا عَلَى الْآثَارِ وَالنُّسْكَ
وَيُرْفَعُ الْحَمْدُ لِلْحُجَّاجِ إِنْ وَقَدُوا وَالذَّنْبُ قَدْ زَالَ بِالْذُّمِّ وَالْعَرِكِ¹
مَوَاسِمُ الذِّكْرِ وَالسَّيَرَاتِ تَنْتَظِمُ عَبْرَ الْمَقَامَاتِ بِالْأَفْوَاجِ، فَاشْتَرِكِ
مَبَاهِجُ أَمْزَابِ سِلْكِ الدَّرِ قَدْ نُظِمَا 935 كَمْ أَبْهَجَتْ كَثْرَةُ الْأَضْوَاءِ فِي الْحَلَكِ²
فِي مَوْلِدِ أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ نَحْتَفِلُ بِالْمَجْدِ وَالثُّورِ بِالْأَلْحَانِ وَالْكَعَكِ
وَالْعُرْسُ يَوْمُ الْفَتَى فِي كَامِلِ الْعُمُرِ الْقَدْرُ فِي رَأْسِهِ كَالْتَّاجِ لِلْمَلِكِ
وَالْبِنْتُ فِي زَهْرَةِ الرِّيحَانِ قَدْ نَبَتَتْ أَفْرَاحُكَ فَرَحُنَا وَالْكُلُّ فِيهِ لَكَ
وَالطِّفْلُ مَفْخَرَةُ الْأَفْرَاحِ نُلَيْسُهُ بِالْحُبِّ يَأْتِي عَلَى الْجُمْهُورِ كَالْمَلِكِ
زِيَارَةُ الْعَامِ فِي الرَّبِيعِ قَدْ كَسَبَتْ 940 كُلُّ الْقُلُوبِ عَلَى التَّمَامِ وَالْدَّرَكِ³
إِوزَانُ حَمُو وَحَاجِ الْعَامِ مُصْطَلَحُ فِي حَقِّ مَا بَيْنَنَا إِنْ كَانَ فِي هَتَكِ⁴

¹ - مِنْ عَرِكَ الْجِلْدَةِ وَنَحْوَهُ: دَلَكُهُ، حَكَّهُ "عَرَكَهُ لِيَنْظِفَهُ"، وَرَفَعَ الْحَمْدَ إِشَارَةً إِلَى جَوْلَةِ الْاسْتِقْبَالِ وَالِابْتِهَالِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ، مَا خَابَ عَبْدٌ قَصَدَ مَوْلَاهُ.

² - مِنْ حَلَكِ يَحْلِكُ، حَلُوكًا وَحُلُوكَةً وَحَلَكًا، فَهُوَ حَالِكٌ إِذَا اسْوَدَّ وَاشْتَدَّ فِي السَّوَادِ.

³ - الدَّرَكُ مِنَ اللَّحَاقِ، وَنَشِيرٌ إِلَى أَنَّهُ حَتَّى مَنْ لَمْ يُسَعِفْهُ شَهُودُهَا لِحَقِّ مَا يُمْكِنُهُ وَلَوْ بِمَتَابَعَةٍ عَنْ بُعْدٍ.

⁴ - مَنَاسِبُهُ إِوزَانُ السَّنَوِيَّةِ بَعْدَ الْمَوْسِمِ الْفَلَاحِيِّ بِدَايَةِ الْخَرِيفِ، مَنَاسِبَةٌ مَعْرُوفَةٌ لِلْمَصَالِحَةِ وَلَمْ يَشْمَلْ لَهَا قَدْ يَطْرَأُ مِنْ هَتَكِ لِحَقُوقِ الْغَيْرِ، فِي مَادِبَةِ أَصِيلَةٍ مُوَحَّدَةٍ، يَفْرَحُ فِيهَا الْجَمِيعُ إِلَى الْيَوْمِ 2020م وَيَتَمَتَّعُونَ.

فِي سَيْلٍ وَادِي مِزَابِ الْعَرْشِ يَنْدَفِعُ
وَنَطْبِخُ الْفُولِ (أَبْيَانُو) وَنَبْتِهْجُ
وَرَمَضَانَ بِتَمْلِيْنَتِهِ عُرْفَا
أَنْفَاشُ طَبَخُ مَعَ الْأَحْبَابِ فِي الْحَطَبِ 945
وَأَفْخَرُ الْأَكْلِ بِالتَّقْلِيدِي عُرْفَا
أَعْمَارُ الْأَيِّ أَقْنُونُ وَتَارُذَا
فَلَنْصُطَنُ فَرْحَةَ الْأَيَّامِ نَنْشُرُهَا

الْكُلُّ فِي الْجَنْبِ وَالْأَوْلَادُ فِي الْبِرْكِ
عِنْدَ مُحَرَّمٍ؛ شَهْرُ الْحُرْمِ عَنْ سَفْكِ
بِالرَّطْبِ وَسُفُوفِ وَالْأَلْبَانِ وَالْبُرْكِ
تَصْنَعُهُ حُرْمَةٌ مِنْ كُلِّ مُشْتَرِكِ
مَغْلُوقَهُ أَرْفِيسُ.. بَطْنِي الْحَيْنِ فِي هَلَكِ
أَقَادُ، أَلْعِيدُ.. لِلْعُرْسَانِ؛ فَاشْتَبِكِ¹
الضِّيقُ يَخْنُقُنَا يَوْمًا عَلَى وَشَكِ

12- حَوْلَ اللَّبَاسِ وَالْمَظَاهِرِ التَّقْلِيدِيَّةِ [22]

الْبَسَ جَمِيلاً وَخَلَّ الرُّهْدَ بِالْحَبْلِ
فِي لِبْسِنَا زَهْرَةَ لِلْحُسْنِ قَدْ جَمَعَتْ 950
مَظَاهِرُ الْفَخْرِ وَالْأَلْوَانِ تَسَحَرْنَا
سِرْوَالُ أَمْزَابٍ فِي أَنْوَاعِهِ وَقَرَّ
وَالْبِنْتُ تَخْلُو بِزَهْرِ اللَّوْنِ وَالْحُلْلِ
الزَّيْنُ فِينَا مِنَ الْآيَاتِ فَاعْتَدِلِ
دِينًا وَعُرْفًا مَعَ الْأَخْلَاقِ وَالْجَلَلِ²
وَالْفَنُّ قَدْ يَضْرِبُ الْعُشَّاقَ بِالْحَبْلِ
يُعْطِي جَمَالًا مَعَ الْعُنْوَانِ لِلرَّجُلِ
وَالطِّفْلِ مِنْ فَاتِحِ الْأَلْوَانِ لَمْ يَنْلِ

¹ - القاف في (أقنون/أقاد) مثلثة، ونريد الجيء الأول للعرسان، حيث الاشتباك والمنازعة في كلِّ أمرٍ المهمِّ الوصول

إلى أغلان، في فرح العائلة، والنقاط لأفراحٍ أخرى يطولُ ذكرها.

² - الجلال اسم للعظمة، كما نقول أُمُّرٌ جلال.

وَالْوَجْهَ فِي مَعْشَرِ الرِّجَالِ قَدْ حَسَنَّا
مَعَادِنُ الْأَرْضِ لَمْ تَلْصَقْ بِنَا أَدَبًا
لَمْ نَبْتَدِلْ فِي لِبَاسِ الرِّيشِ يَا وَلَدِي
السِّتْرُ مَبْدُونًا وَالْحِسُّ فِي رَهْفٍ
مِنْ لَحْظَةِ السَّعْيِ كَانَ الطِّفْلُ يَشْتَرِطُ
وَالشَّعْرُ لِلْنِّبْتِ وَالْأَفْذَاذُ تَرْتَفِعُ
وَاهَا لِمَنْ أَعْدَمَ الْأَخْلَاقَ فِي الْوَلَدِ
كَمْ ضَيَّعَ الْجِيلُ مِنْ قَدَرٍ وَمَكْرَمَةٍ
فِي بَهْجَةِ الْحَتَنِ وَجْهٌ مُشْرِقٌ سَطَعَا
وَالْبَيْضُ بَدَرٌ مِنَ اللَّبَاسِ قَدْ فُرِضَا
وَالتَّاجُ طَاقِيَةٌ كَالرَّمْزِ نَعَشَقُهَا
وَلَيْسَةُ الشُّغْلِ حَزْمُ الْبَطْنِ، تَرْمُقُهَا
وَلِلْعَرِيسِ جَمَالُ الْعَرْشِ وَالْوُسْدِ

955

960

965

بِلَحْيَةٍ تُبْرِزُ الْفُرْسَانَ مِنْ دُلٍّ¹
الْحِرْصُ يَأْبَى عَلَيْنَا التِّيَّهَ فِي الْعَطَلِ
فَاحْفَظْ لِنَفْسِكَ قَدْرَ الْعِزِّ، وَارْتَجِلْ
الْعَضُّ صَارَ عَنِ الرِّجَالِ، يَا هَبْلِي²
كَيْ يَنْتَشِي بِلِبَاسِ الْأَصْلِ كَالْبَطَلِ
عَنْ حَمَاةِ اللَّزْقِ وَالتَّسْرِيحِ وَالضَّحْلِ³
كَالدُّبِّ يَرْمِي عَلَى الرُّجَاجِ بِالْكُتْلِ
مِنْ وَالِدَيْنِ عَلَى الْإِهْمَالِ وَالذَّهْلِ⁴
بِحُلَّةِ اللَّوْنِ، يُنْسِي الْجُرْحَ فِي الْقُبْلِ
فِي حَضْرَةِ الرَّبِّ، فِي الْأَفْرَاحِ وَالْخُلِّ
فَالْبَسْ بُنْيَ جَمَالِ الرَّأْسِ، وَاكْتَمِلْ
بِالْفَخْرِ حَتَّى مَعَ الْأَوْسَاحِ وَالْبَلَلِ
بَرْنُوصُ، أَحُولُ، لَبْخُورُ، عَلَى جَلَلِ

¹ - جمع ذلول، وهو الموصوف بالانقياد والانصياع.

² - الرهف الدقة واللطافة في الشيء، والهبل اختلال العقل، والنداء فيه معنى يا هبلي احضر فهذا وقت حضورك.

³ - أفذاذ جمع فذ وهو المتفرد الذي لا نظير له في تميزه، واللزق إشارة إلى الإكريمات اللاصقة، والضحل من الضحالة وهي التفاهة والسفالة.

⁴ - الذهل التغافل والتناسي، ونحن نعيش وضعاً معاصراً عجيباً فيه إهمالٌ حقيقي وانشغالٌ عن التربية.

وَلِلْعَرُوسِ لِبَاسُ الْقَتْلِ وَالذَّهَبِ
لِبَاسُنَا أَسَسُ التَّسْهِيلِ تَحْكُمُهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ مَعَ الْأَلْوَانِ وَالْبَدَلِ
مَظَاهِرُ الْحُسْنِ قَدْ عَمَّتْ مَبَاهِجَنَا
لَا يَصْنَعُ الْفَرْقَ وَالتَّشْوِيشَ بِالْجُمَلِ¹
الْحُسْنُ فَنُّ وَدَفْقُ السُّوقِ أَفْسَدَهُ
حَتَّى عَلَى تُخْفَةِ الْأَحْمَالِ وَالْإِبِلِ
إِعْشَقُ أَصِيلاً، وَقَشَّ الْعَيْرِ فَاَنْتَشِلِ² 970

13- مَحَطَّاتُ أَدِيبَةٍ حَضَارِيَّةٍ مُنَوَّعَةٌ [22]

أَمْزَابُ بَحْرٍ مِنَ التَّدْوِينِ لَمْ يُنَلِ
فِي نَفَحَاتٍ مِنَ الرُّوحَانِيَّاتِ لَنَا
أَمْزَابُ فَخْرٍ حَقِيقُ الْقَدْرِ فِي الْمَلِ
الذِّكْرُ وَالتَّنْفُلُ وَالتَّسْبِيحُ فِي نَفْسِ
فِرْدَوْسٍ عَدْنٍ مِنَ الْأَزْهَارِ وَالظُّلَلِ³
الْحَسُّ فِينَا دَقِيقُ الْخَيْطِ نُحْكِمُهُ
تِلَاوَةٌ مَعَ سَلَامِ الصُّبْحِ مِنْ أَزَلِ
قَدْ أَحْدَثَتْ ثَوْرَةَ التُّرَابِ وَالْوَرَقِ 975
وَالْوَعْيُ يَسْرِي عَلَى التَّخْرِيطِ وَالْمُثَلِ⁴
نَارًا؛ أَخَافَتْ أَنْاسَ الْعَصْرِ، فَاَنْذَهَلِ
نَرْجُوكَ يَا نَاقِمًا بِالنَّفْسِ فَاشْتَغِلِ
الطُّهْرُ كَانَ أَسَاسَ الْعُرْفِ وَالْقِيمِ

¹ - إشارة إلى الكتابات التي عمّت معظم ألبستنا، حتى صار من النادر إيجاد لباس بلا كتابة، ويا ليتها كانت صالحة مفهومة قبل شرائها وترويجها.

² - القش: المتبقي المحتقر من الشيء في الأرض، والانتشال التزع بالسرعة والدقة كما يفعل اللص أو المنقذ.

³ - العدن مكان الإقامة، والظلل جمع ظلّ، وهو تصوير لراحة المزاوي مع تلك الأذكار والعبادات.

⁴ - المثل جمع مثال لغير المصدر، والمراد هنالك تحريض بالقول وأمثلة حية يقتدى بها.

أَقْبِلْ إِلَى دَارِنَا وَاشْهَدْ مَوَائِدَنَا
وَأَيْنَمَا حَلَّ كَانَ الظِّلُّ يَتَّبِعُهُ
كَمْ أَبَدَعَ امْزَابُ فِي الْمَعْرُوفِ يَبْدُلُهُ
وَأَيُّ بَابٍ طَرَقْنَا النَّاسُ تَغْمُرُنَا
الْخَيْرُ فِينَا مَشَارِيعُ لَهُ نَهَضَتْ
مُجْتَمَعٌ يَعْشَقُ اللَّقِيَا وَيَصْنَعُهَا
الْهَزْلُ وَالْجِدُّ وَالْأَلْعَابُ وَالْعَمَلُ
الْجَزْيُ وَالْعَطْسُ وَالتَّحْجُورُ وَالثَّقْلُ
رِيَاضَةُ الْجِيدُو وَالْكَرَاتِي قَدْ بَرَعَتْ
وَالسَّامِقَاتُ إِلَى الْعُلَيَاءِ نَخْدُمُهَا
أَجَالُ، أَفْرَاقُ، أَنْكَاضُ، عَلَى فِرْقِ
الْعِشْقِ نَحْوُ نَفِيسِ الْأَصْلِ يَأْسِرُنَا
الْعِطْرُ وَالْمِسْكُ وَالتَّفْرِيشُ وَالْعَبْقُ
فِي سَاحَةِ الْفَنِّ وَالْأَلْحَانِ كَمْ طَرِبَتْ

الصَّيْفُ فِي حِصْنِنَا كَالنَّحْلِ فِي الْعَسَلِ¹
كَمْ مِنْ جَسُورٍ غَدَا بِالْفَضْلِ فِي حَجَلِ²
لِلْجَارِ وَالْخَلِّ وَالْمَقْهُورِ فِي السُّبُلِ
حُبًّا، وَإِنَّا عَلَى سَهْلٍ بِلَا ثَقَلِ 980
دِينًا وَدُنْيَا مَعَ الْأَيَّامِ لَمْ تَزَلِ
الْوَجْهُ لِلْوَجْهِ يُشْفِي الصَّدْرَ مِنْ عَلَلِ
حَالٍ بِحَالٍ مَعَ الْأَيَّامِ وَالْعُطَلِ
مَيْدَانُنَا، فَاجْمَعَ الْأَصْحَابَ وَاحْتَفِلِ
فُرْسَانُهَا مَضْرِبُ لِلنَّاسِ فِي الْمَثَلِ 985
نَعْلُو إِلَى حَيْثُ صَوْتُ الْقِيلِ لَمْ يَصِلِ
فِي زَحْمَةِ الْفَرَزِ وَالْحَمَلِ عَلَى ذُلِّ
فِي تُخْفَةِ الْجِدْعِ وَالْأَحْجَارِ وَالْقُلَلِ³
نَحَتْ وَنَفَسٌ مَعَ الْحَنَاءِ وَالْكُحْلِ
أُذُنٌ، أَزَالَتْ سَقَامَ الْكُرْهِ وَالْمَلَلِ 990

¹ - هذا المثل لما يقال: أنت في دارك، وخير دار تلك المليئة بطيب الأهل والطعام.

² - الجسور على شيء المتشجع والمتقدم عليه بلا وجل ولا استحياء.

³ - القُلَل: جمع قُلَّةٍ.

فِي حَضْرَةِ الْعِلْمِ حُزْنًا السَّبْقَ فِي الْأَوَّلِ
فِي طَرْزَةِ لَمْ تَنْلِ حَظًّا مِنَ الْخَلَلِ

فِي الدِّينِ كُنَّا شِعَارَ الثَّبَتِ لَمْ نَحِدِ
نَحْنُ الْأَوَّلَى قَدْ جَمَعْنَا الْحُسْنَ فِي الصُّورِ

خَاتِمَةٌ وَاسْتِشْرَافُ [09]

وَيَسَّرَ النَّظْمَ فِي عَجَزٍ وَفِي وَجَلِ
تَشْفِي مِنَ الزَّيْغِ وَالْأَوْهَامِ وَالْعَلَلِ
أَنْنَى يَرَى الْخُلْدَ فِي الْإِهْمَالِ وَالْعَطَلِ 995
نَرْقَى وَنُعْصَمُ مِنَ الْإِخْفَاقِ وَالْفَشَلِ
مَا أَهْلَكَ النَّاسَ غَيْرُ الْعَجْزِ وَالْجَدَلِ
أَمْزَابُ مُسْتَهْدَفٍ، وَالْوَقْتُ لَمْ يَصِلِ
بِالْأَمْسِ، فِي مَنْهَجِ عَدْلٍ وَمُعْتَدِلِ
يَا رَبِّ فَاعْفُ عَنِ التَّقْصِيرِ وَالزَّلَلِ 1000
مُحَمَّدٍ دُرَّةَ الْأَنْوَارِ فِي الرُّسُلِ 1001

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَنْ قَدْ مَنَّ بِالْأَجَلِ
أَهْدِي لَكُمْ بَاقَةً فِي الزَّيْنِ قَدْ كُمَلَتْ
أَمْزَابُ إِرْثٍ مِنَ التَّارِيخِ قَدْ ثَقُلَا
إِنْ نَتَّحِدْ وَحُظُوطُ الذَّاتِ نَدْهَسُهَا
مُسْتَقْبَلُ الْأَرْضِ فِي التَّخْطِيطِ وَالْعَمَلِ
وَلَنَحْذَرِ الْخَوْفَ، عَيْنُ اللَّهِ تَحْرُسُنَا
وَلَنَنْتَظِمَ فِي خُطَى الْإِقْدَامِ نَعْتَبِرُ
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ، فَالْبُشْرَى لَكُمْ نَزَلَتْ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَغْوَارِ قَائِدِنَا

المصادر والمراجع:

- الجانب اللغوي:

1. مُجَدِّد بن مكرم أبو الفضل ابن منظور: **لسان العرب**، ط3، دار صادر - بيروت، 1414هـ.

2. أحمد مختار عبد الحميد ومساعدون: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، عالم الكتب، د.م، 1429 هـ-2008م.
هذان مصدران أساسيان اعتمدت عليهما، وعلى الثاني أكثر.

- الجانب الفني والتاريخي:

3. يوسف بن بكير الحاج سعيد: **تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، ط3، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، 1435-2014م.

4. حمو مُجَدِّد عيسى التّوري: **دور المزايين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، د.ط، مطبعة البعث، د.ت.

5. جابر بن باسعيد الحاج سعيد: **تاريخ بني مزاب للجلسات العائلية والدروس التعليمية**، ط1، مطبعة طيف، غرداية، 1437هـ-2016م.

6. دراسة لناظم الإلياذة تحت التّأليف بعنوان: **عادات المجتمع المزايي وأعرافه**.

7. العديد من اللّقاءات والحوارات والاستفسارات حول مواضيع الإلياذة وفنّها.

8. كما اطلّعت سماعًا ونصًّا على إلياذة مفدي زكرياء، وأعمالٍ شعرية أخرى.

الصفحة	العناوين	
02	<u>إهداء</u>	01
03	<u>مقدمة</u>	02
07	<u>الفصل الأول: الأصالة والتاريخ</u> مُقدِّمةٌ في الأصلِ والمنشأ [19 بيتا]	03
09	تسميةُ وادي أمزاب ونشأته [14]	04
10	قرى أمزاب وأصلُ تسميتها [20]	05
12	أمزابُ على بوابةِ الدين والحضارة [31]	06
14	نظامُ العزابة [24]	07
16	نظامُ البراءة [17]	08
18	نظامُ إيروان [13]	09
19	إمصرُدان والمكاريِس [20]	10
21	نظامُ تيمسيردين [19]	11
23	نظامُ العشائر [34]	12
25	مجلسُ الشيخِ عمي سَعِيد [35]	13
28	<u>الفصل الثاني: أمزابُ عبر الحقب التاريخية</u>	14

	أولاً: العهد القديم من النشأة إلى 850هـ عهد الشيخ عمي سعيد 1- من النشأة إلى بداية المذهب الإباضي [33]	
15	2- قصة الشيخ أبي عبد الله الفرستائي بمزاب [18]	31
16	3- الدولة الرستميّة وانتشار المذهب الإباضي بمزاب [32]	32
17	4- الملامح العامّة لهذا العهد [20]	35
	ثانياً: العهد الوسيط من عهد عمي سعيد إلى 1830م بداية الاحتلال الفرنسي 1- الحياة العلميّة والفكريّة [29]	18
19	2- الحياة الاجتماعيّة [22]	40
20	3- الحياة الاقتصاديّة [25]	41
21	4- الحياة السياسيّة والدفاعيّة [36]	44
22	5- الملامح العامّة لهذا العهد [40]	46
	ثالثاً: العهد القريب من بداية الاحتلال الفرنسي إلى ما بعد الاستقلال 1- الصورة الحربيّة والدفاعيّة [51]	23
24	❖ حول الثورة التحريريّة [34]	53

56	2- الْحَيَاةُ الْفِكْرِيَّةُ وَالْاجْتِمَاعِيَّةُ [36]	25
58	3- الْحَيَاةُ السِّيَاسَةُ وَالْاِقْتِصَادِيَّةُ [29]	26
61	الفصل الثالث: لَفْتَةٌ إِلَى أَعْلَامِ امْزَابٍ 1- قُدَمَاءُ الْمُجْتَمَعِ الْمِزَابِيِّ قَبْلَ الْمَذْهَبِ الْإِبَاضِيِّ [21]	27
63	2- أَشْيَاخُ نِظَامِ الْحَلَقَةِ [18]	28
64	3- مَقَامُ أَعْلَامِ مِزَابٍ عَبْرَ التَّارِيخِ [27]	29
67	الفصل الرابع: الْمَعَالِمُ الْحَضَارِيَّةُ لِمِزَابٍ 1- امْزَابُ وَالْمَبَادِئُ الْإِسْلَامِيَّةُ [21]	30
68	2 - نِظَامُ الْمَسَاجِدِ [13]	31
69	3- نِظَامُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَمُدَارَسَتِهِ [24]	32
71	4- تَرْبِيَةُ النَّاشِئَةِ الرَّاقِيَةِ [26]	33
73	5- حَوْلَ تَنْشِئَةِ الْبِنْتِ [08]	34
74	6- آلِيَاتُ التَّرْبِيَةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ [26]	35
76	7- التَّعْلِيمُ وَالتَّدْرِيسُ وَالْحَلَقَاتِ [24]	36

78	8- الْعَمَلُ وَاکْتِسَابُ الْخِبَرَاتِ [14]	37
79	9- الثَّقَافَةُ الْمَالِيَّةُ وَالْاِقْتِصَادِيَّةُ [28]	38
81	10- حَوْلَ الْعُمَرَانِ وَالْمَدِينَةِ وَالتَّعَايُشِ [22]	39
83	11- حَوْلَ الْمُنَاسَبَاتِ وَالْأَفْرَاحِ [24]	40
85	12- حَوْلَ اللَّبَاسِ وَالْمَظَاهِرِ التَّقْلِيدِيَّةِ [22]	41
87	13- مَحَطَّاتُ أَدَبِيَّةٍ حَضَارِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ [22]	42
89	-خَاتِمَةٌ وَاسْتِشْرَافٌ [09]	43
90	-المصادر والمراجع	44
91	فهرس العناوين	45